الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة محمد بوضياف المسيلة.

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية.

قسم التاريخ.

عنوان:

التطورات المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين (2-4 هـ / 8 - 10 م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبة:

- حورية مكي

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
عبد الغني حروز	أستاذ مساعد –أ–	رئيسا
عبد السلام همال	أستاذ محاضر –ب–	مشرفا
لخضر بولطيف	أستاذ مساعد –أ–	مناقشا

السنة الجامعية : 1437/1436هـ - 2016/2015 م .

قائمة المصادر والمراجع

بعد الفتوحات الإسلامية انتشر الإسلام في ربوع المغرب الإسلامي حيث عرف توافد عدة مذاهب وفرق،تنوعت عقائدها ومشربها،استطاعت أن تؤسس لمبادئها مستغلة في ذلك جدية إسلام أهل المغرب وقابليته للمعرفة والتعلق بكل ما هو مشرقي،لذا شهد المغرب بكل أقطاره تحولات سياسية ومذهبية متلاحقة فيما يتعلق بالأصول والفروع ما يعني تقدم وانتشار أو تقهقر وانحسار بفعل تبني السلطة للمذهب أو التخلي عنه من جهة، وتأييد الفقهاء للمذهب أو رفضهم أو من جهة أخرى وانعكاس ذلك على العامة من حيث الإقبال عليه أو الأعراض عنه .

الإشكالية:

وتتمحور الإشكالية التي يطرحها الموضوع ويُحاول الإجابة عليها حول واقع التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي وهي: ما هي التحولات المذهبية التي عرفها المغرب الإسلامي خلال الفترة مابين القرنين الثاني والرابع الهجري؟ولتقديم إجابة نموذجية عن هذه كان علينا أن نجيب على تساؤلات فرعية أهمها: ما هي حيثيات هذه التحولات؟ وكيف كان تقدمها وانحصارها؟ وما دور السلطة والفقهاء في رسم المشهد المذهبي للمغرب؟ وما موقف فقهاء السنة من المد الشيعي ؟ما هي ظاهر الصراع والتعايش بين المالكية والحنفية على الصعيد الفقهي؟ وكيف تعامل الأغالبة مع المالكية؟

أسباب اختيار الموضوع:

فيما يخص الأسباب الكامنة وراء اختيار موضوع التحولات المذهبية فهي :

- جاء اختياري لهذا الموضوع نابعا إبتداء من ميولاتنا الشخصية في البحث عن المواضيع الفكرية والمذهبية على وجه الخصوص.
- كما أن الأوضاع المذهبية في تلك الفترة عرفت تطورات، بغض النظر الايجابية أو سلبية بالنسبة المغاربة تثير فضول الباحث بتركيباتها وعناصرها المتناقضة.

- بالإضافة إلى رغبتي في تقديم صورة ولو بسيطة عن الأوضاع المذهبية في المغرب الإسلامي خلال الفترة مابين القرن الثاني هجري إلى الرابع هجري .
- لا غرو أن دراسة موضوع يجمع جزءا من الحياة المذهبية خلال القرنين الثاني والرابع هجري من شأنه أن يعطي حافزاً للباحثين المهتمين بهذا الميدان أن يتعمقوا ويدرُسوا هذه الفترة بالأخص موضوعنا بكثير من التعمق.

المنهج المتبع:

اعتمدت في بحثي هذا منهجا تاريخيا وصفيا تحليليا لأنه الأنسب لوصف الأحداث التاريخية ولتحليل ما يجب تحليله والوصول في الأخير إلى نتائج رأيت أنها تخدم بحثنا.

الخطة المتبعة:

نظرا للمادة العلمية التي توافرت لدينا قسمنا البحث إلى فصلين وضمن كل فصل عنصرين يتفرعان لثلاثة عناوين مستهلة الموضوع بمقدمة فيها أهمية الموضوع والإشكالية ودوافع اختيار الموضوع وكذا المنهج المتبع إلى جانب عرض وتحليل المصادر والمراجع والصعوبات التي واجهتني في هذا البحث وأخيرا شكر وعرفان.

وقد جاء الفصل الأول:بعنوان التحولات الفقهية في بلاد المغرب الإسلامي وموقف السلطة والفقهاء منه وقد اندرج ضمن هذا الفصل جزئين: أولا المذهب الحنفي في المغرب الإسلامي ويتفرع إلى ثلاثة عناصر سيادة المذهب الحنفي وموقف فقهاء المالكية من التطور العقدي للأحناف وتراجع المذهب الحنفي في إفريقية، أما ثانيا: المذهب المالكي في المغرب الإسلامي والمواقف منه، وخصصت العنصر الأول لدراسة انتشار المذهب المالكي ثم العنصر الثاني مظاهر تعايش الأغالبة مع هذا المذهب، أما العنصر الثالث فهو مظاهر الصراع بين الحنفية والمالكية.

وبينما تطرقنا في الفصل الثاني إلى التحولات العقدية في المغرب الإسلامي وموقف السلطة والفقهاء منها،ويندرج ضمنه جزئين :أولا المد الشيعي الإسماعيلي و المواقف السلطة منه سلطت الضوء على ثلاث عناصر مهمة هي: تقرير الدولة الفاطمية للمذهب الإسماعيلي الشيعي ثم رصد مواقف فقهاء السنة من التشيع ثم رصد موقف السلطة الفاطمية من أهل السنة،ثانيا: تبني المذهب السني في العهد الزيري وتتبعت فيه دور السلطة الزيرية في ترسيم المذهب السني ثم حسن الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة في العهد الزيري وركزت على القطيعة المذهبية وتصفية التواجد الشيعي وختمت الفصل بإنتصار المذهب السُّني.

وللتوضيح أكثر فإني ركزت في هذه الدراسة على التحول الفقهي من الحنفية إلى المالكية، أما في التحول العقدي فقد عرضت حيثيات التحول من الشيعة إلى السنة في العهد الزيري.

وخُتم هذا البحث بجملة من النتائج المتوصل إليها .

عرض وتحليل المصادر:

لإعداد هذا الموضوع اعتمدت على عدة مصادر أهمها كتب الطبقات والتراجم التي كانت أكبر سند لي في بحثي، وهذا لما انفردت به عن ذكر حياة العلماء والفقهاء التي يستطيع الباحث من خلالها أن يستقي دورهم وأثرهم وكل ما يحيط بهم، ولعل أولى هذه المصادر كتاب"طبقات العلماء إفريقية وتونس لأبى العرب(ت 333ه/944ه)وهو مصدر مهم خاصة وأنه عايش فترة حرجة من تاريخ المغرب استطاع من خلالها أن يقدم لي صورة لأهم الأحداث والظروف السياسية والمذهبية التي كانت تطفو على الساحة المغربية ، ويلي الكتاب المذكور، كتاب الخشني (361هـ/981م) وهو مصدر لا يقل أهمية عن السابق لما يحتويه من مادة علمية خدمت بحثي كثيرا، ومن بين كتب الطبقات أيضا كتاب "معالم الإيمان"لأبي زيد عبد الرحمن الدباغ(ت696ه/1296م)،"ورياض النفوس"لأبي عبد الله

المالكي(ت483هـ/1090م) و اعتمدت عليهما في تقصي أخبار القيروان وتونس والإحاطة ببعض الصراعات والنزاعات بين الحنفية والمالكية بالرغم من أن هذه المصادر قدمت لنا الكثير من أخبار علماء الحنفية و بطريقة غير مقصودة لذاتها في إطار ترجمتها لأعلام المذهب المالكي، إلا أن ما يعاب عليها هو نقل بعضهم عن بعض مع إهمالهم الترجمة لأعلام الحنفية والمعتزلة وتركيزهم على المالكية فقط، وفي رأيي هذا الموقف سببه الصراع المذهبي فيما بينهم إضافة لكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (ت712هـ/1312م) الذي احتوى على معلومات جد هامة خدمت موضوعنا ، حيث أفادنا في معرفة الأحداث السياسية والاجتماعية التي رافقت التحولات العقدية وانتشار المذهب الشيعي ثم المذهب المالكي (السُّني) إلى جانبه اعتمدت على كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان الذي هو من المصادر الهامة التي لا يمكن لباحث التاريخ الاستغناء عنها، رغم اعتمادنا الكبير على كتب التراجم و الطبقات إلا أننا لم نهمل المصادر الجغرافية خاصة أنها تحوي في طياتها معلومات ومادة غنية، ولعل أهم مصدر اعتمدنا عليه هو رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في المعرفة الأقاليم للمقدسي.

المراجع:

- للمراجع أهمية كبيرة للباحث فهي تساعد الطالب على الإحاطة بالموضوع واستقاء أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها،كان في طليعة المراجع التي اعتمدت عليها كتاب الصراع المذهبي بإفريقية لعبد العزيز المجدوب وكتاب جهود العلماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة للتهامي إبراهيم فهذين الكتابين من الدراسات التي أحاطت بالخلافات والصراعات المذهبية ،كما لا ننسى كتاب المذهب المالكي بالغرب الإسلامي لنجم الدين الهنتاتي ومن المراجع التي كان لها حضور معنا المجلات العلمية فقد تضمنت الدراسات المتنوعة ما يخص تاريخ المذاهب نذكر منها مجلة الفتح لعربي ومجلة حوليات الجامعة التونسية.

الصعوبات:

وكغيرنا من طلبة البحث العلمي فقد واجهتنا عدة صعوبات أهمها : ضيق الوقت إذ لم يسعني استدراك الكثير من المعلومات الهامة التي تتطلب وقتا أطول وجهداً إضافيا ،كما أن آفاق هذا الموضوع واسعة جدا ومسائله متشعبة وكثيرة بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع هذا الموضوع كونه يميل في أغلب جوانبه إلى الفقه والعقيدة وهذا ما سبب لي عجزاً في معظم مراحل هذا البحث ،فهذا النوع من الدراسات يحتاج إلى دارسين و متخصصين في الفقه والعقيدة إلا أن هذا لم يثنِ عزيمتنا في المضي قدما نحو إخراج هذا العمل في صورة مقبولة.

شكر وعرفان

الحمد الله الذي أمدني بقوة العزم على مواصلة مشواري الدراسي وتوفيقه لي على انجاز هذا العمل المتواضع فأحمدك اللهم وأشكرك على نعمتك وفضلك وسلام على حبيبنا محمد عليه أزكى الصلاة والسلام.

كما أتقدم بجميل الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل همال عبد السلام لتفضله بالإشراف على هذا البحث،ولحرصه على إتمامه بحسن إرشاده وحكيم نصحه،فإليه عظيم شكري وأسأل الله أن يجزيه عنا خير جزاء

كما لا يفوتني أن أشكر اللجنة المناقشة لتفضلهم على قراءة وتقييم هذه المذكرة وأتقدم بالشكر الجزيل لوالدتي التي كانت دعما لي في دراستي ولجميع الزميلات،وعمال مكتبة السلام في الأخير أرجو أن أكون قد وفقت في الإلمام بهذا الموضوع ولو في بعض جوانبه.

الفصل الأول

التحولات الفقهية في بلاد المغرب الإسلامي وموقف السلطة والفقهاء منها

أولا: المذهب الحنفي في المغرب الإسلامي.

1- سيادة المذهب الحنفي في العصر الأغلبي .

2- موقف فقهاء المالكية من التطور العقدي للأحناف.

3- تراجع المذهب الحنفي بإفريقية.

ثانيا: المذهب المالكي في المغرب الإسلامي والمواقف منه.

1- انتشار المذهب المالكي في المغرب.

2- مظاهر تعايش الأغالبة مع المذهب المالكي.

3- مظاهر الصراع المذهبي بين الحنفية والمالكية.

أولا: المذهب الحنفي في المغرب الإسلامي .

1-سيادة المذهب الحنفي في العصر الأغلبي :

تنسب أغلب المصادر دخول المذهب الحنفي إلى إفريقية إلى العالمين هما عبد الله بن فروخ الفارسي (176هـ/801م)[1]وعبد الله بن غانم(ت190هـ/805م) ،[2] بينما يؤكد القاضي عياض أن المذهب الحنفي كان الغالب على إفريقية إلى أن جاء علي بن زياد [3](183هـ/799م)،أبو مسعود ابن أشرس والبهلول بن راشد بمذهب مالك بن أنس ، أي كانت له السيطرة حتى حوالي سنة150ه تاريخ دخول ابن زياد لكن هذا الأخير استقر بتونس وعرّف أهلها مذهب أهل المدينة الأمر الذي جعلهم يأخذون به،أما القيروان في تلك الفترة كان أهلها يعانون من التشتت المذهبي[4].

لقد عرف المذهب الحنفي في إفريقية منذ العقد السابع من القرن 2هـ/8م [5]مع عبد الله بن فروخ لما رحل إلى المشرق أخذ عن مالك بن أنس وأبي حنيفة وصحبه، وكتب عنه.

---

[1] هو فقيه القيروان، جمع بين العلم والورع والقيام بالحق ، رحل إلى المشرق ولقي أعلاما كالأعمش والثوري و مالك وأبي حنيفة، وسمع منهم وتفقه بهم، ورجع للقيروان، ونفع الناس، توفي سنة 176ه، محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،المطبعة السلفية،القاهرة، 1930، ص 60.

[2] هو فقيه مشهور بالعلم والإصلاح ، الثقة الأمين، روى عن مالك، توفي سنة 190، محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص62

[3] قيل أصله من العجم هو من أهل تونس، مأمون ومتعبد ، بارع في الفقه، القاضي عياض موسى بن عياض اليحصبي السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية المغرب،(د ت)،ج3، ص80،للمزيد أنظر:المالكي،أبو بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس،تحقيق: بشير بكوش،(ط2)،لبنان، دار الغرب الإسلامي،1994،ج1، ص234.

[4] (نجم الدين)، الهنتاتي،« تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى»، مجلة التاريخ العربي،(الرباط)، العدد 2000,13، ص113.

[5] يوسف بن أحمد حوالة،الحياة العلمية بإفريقية، منشورات مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة،2000،ج1، ص311.

مسائل عديدة[1] ويذكر الدباغ في هذا الصدد:« واجتمع عبد الله بأبي حنيفة وذاكره وكتب عنه عشرة آلاف مسألة [2]»، وبعودته إلى المغرب نشر المذهب الحنفي مع اعتنائه بمذهب مالك، بحيث أنه «أتى أنس مالكًا فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقام إليه وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس».[3]

إلى جانب ابن فروخ يوجد عبد الله بن غانم الرعيني الذي كان ممن نشروا المذهب المالكي، فإنه كان يدرس تلاميذه كتب أبي حنفية كل يوم جمعة[4] ،وعينه أبو يوسف قاضيا بالقيروان سنة171هـ/796م. [5]

والجدير بالذكر أن الحنفيين سموا في كتب التراجم والطبقات وسماهم أبناء بلدهم المغاربة بالكوفيين أو العراقيين،وحسب عبد العزيز المجدوب فإن سبب إطلاق لفظ الكوفيين أو العراقيين على علماء الأحناف إنما يعود لسببين، الأول أنه نسبة إلى مكان ظهور المذهب وشيوعه، والثاني إشارة عنصرية منهم إلى أنهم أجانب بحكم أن معظم من تمذهب بالمذهب الحنفي في إفريقية كان من أصل عراقي أو فارسي، كما سموا أيضا بأصحاب الرأي نظراً لما يثيرون من مسائل[6] .

---

[1] عبد المجيد بن حمده،المدارس الكلامية بإفريقية،ط1،تونس،مطبعة دار العرب،1986،ص37.

[2] الدباغ، ابوزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق:محمد الأحمدي أبو أنور ومحمد ماضي ، مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة العتيقة بتونس للنشر، (د ت)، ج2، ص240.

[3] القاضي عياض ،المصدر السابق،ج3،ص104.

[4] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق ، ص 326.

[5] الهنتاتي ،المرجع السابق ، ص 314.

[6] عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقيا، تونس، الدار التونسية للنشر، 1975، ص63,62.

ففي أوائل العصر الأغلبي انتشر مذهب أبي حنيفة أكثر فأكثر،ويدعم هذا الطرح المقدسي بقوله:" فشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب" [1] ،لأنه مذهب الخلافة العباسية بحيث كان أبو يوسف[2] على رأس القضاء ،فهو مقرر المذهب الحنفي، لذا يدعم الحميدي هذا بقوله : " فإنه لما وليَ قضاء القضاة أبو يوسف كانت القضاة من قبله، فكان لا يولي قضاة البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال إفريقية إلا أصحابه والمنتمين إلى مذهبه"[3]نلاحظ أنه كان يفرض على الخطة القضاء كل من ينتمي إلى المذهب الحنفي، إضافة لتقليد الأغالبة لأسيادهم العباسيين في تقديم المذهب الحنفي.

تعد الرحلات العلمية بين بغداد والقيروان دليلا على وجود صلات بين الأغالبة والعباسين، ومن ذلك رحيل علماء عراقيين إلى القيروان للتدريس أمثال:عبد الرحمان بن عبيد البصري،درس الكثير من طلبة إفريقية، كما تعج المدارس بالكوفة بالطلبة والفقهاء المغاربة وأشهرهم: الفقيه محمد بن زرزر[4] الذي كان عالما بمذاهب أهل الكوفة وبجميع الأقاويل[5].

ومن بين الفقهاء الأحناف المبكرين عبد الله بن المغيرة الذي تتلمذ على الإمام أبي حنيفة الذي كان صاحب اجتهاد وتأليف قيم في الفقه [6].

---

[1] المقدسي أبو عبد الله بن أحمد البناء ، رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الإقاليم ،(ط)1، (دم) دار ارتياد الآفاق، ، 2003، ص220.

[2] هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري، ولد في 113هـ، كان عالما وفقيها، حظي بمكانة عند هارون الرشيد، تولي القضاة من المشرق إلى المغرب حنفي المذهب، أحمد بن محمد نصر الدين النقيب، المذهب الحنفي ، الرياض، مكتبة الرشيد.،2001، ج1، ص 62.

[3] الحميدي، أبو عبد الله بن محمد أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ،القاهرة، المكتبة الأندلسية، 1966، ص384.

[4] هو أبو عبد الله محمد بن زرزر، كان عالما، حافظا للمذهب الحنفي وجميع الأقاويل ، كان بصيرا باللغة، الدباغ،المصدر السابق،ج2، ص274.

[5] محمود إسماعيل، الأغالبة سياستهم الخارجية، (ط3)،(دم)، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية،2000، ص64.

[6] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 62.

بحيث أخذ الكثير من العلوم عن إمام الكوفيين ثم عاد إلى المغرب، وتتابع انتشار المذهب الحنفي في عصر الأغالبة[1].

كما شهدت إفريقية علماء أحناف آخرين في العصر الأغلبي نذكر منهم: عباس الفارسي كان من الغلاة في مذهبه لدرجة أنه أقدم على حرق كتب المدونة، الأمر الذي جعل أسد بن الفرات يضربه، إضافة لمعمر بن منصور، سليمان بن عمران، وهما من طلبة أسد، أما القاضي ابن أبي الجواد[2] وعبد الله ابن الأشج وابن أبي المنهال،كلهم شغلوا منصب القضاء في العصر الأغلبي، كما أن يحي بن محمد بن قادم كان من أعيان علماء الأحناف وكان أهل بيته بنو قادم كانو مشهورين بالعلم والفقه على المذهب الحنفي [3] .

ثم لا يمكن إغفال دور أسد بن الفرات الفعال في التعريف بهذا المذهب في دروسه على الرغم من كونه مالكيا[4]،فبعد مقابلته للإمام مالك بالمدينة اتجه إلى العراق، وسمع من تلاميذ أبي حنيفة، القاضي أبي يوسف،ومحمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ/804م)، ثم رحل إلى مصر حاملا مسائل فقهية مجردة على المذهب الحنفي، وإلتقى بالإمام أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي (ت191هـ/806م) من أشهر أعلام المذهب المالكي[5]، وساءله حول مسائل موسوعته الأسدية ثم عاد إلى القيروان سنة 181ه/796م، وحصل على شهرة كبيرة، لكن خلاف أسد وخصومته مع سحنون [6] .

---

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص312.

[2] ولي القضاء مذهبه مذهب الكوفيين، الخشني، محمد بن حارث بن أسد (ت 361ه)، قضاة قرطبة وعلماء افريقية، (ط1)، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ، 1953، ص 305.

[3] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 346.

[4] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص 63.

[5] يوسف أحمد حوالة، المرجع السابق، ص331.

[6] هو سحنون بن سعيد التنوخي، من شيوخ القيروان، أصله من الشام، قدم أبوه مع الجند، كان حافظا للعلم، لم يكن يهاب سلطانا في حق يقيمه ، ولي القضاء سنة 234ه، توفي سنة240ه، أبو العرب أحمد بن تميم، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد بن أبي شنب، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، ، 2006، ص102-104،أنظر الدباغ،المصدر السابق،ج2،ص84.

وابن القاسم حول الأسدية دفعه إلى التحمس للمذهب الحنفي ونشره بالقيروان[1]، ونظرا لشهرة أسد بالفقه والعلم، طلب الوزير علي بن حميد من زيادة الله[2]عزل أبي محرز وولاية أسد، فأجابه الأمير بأن ولى قاضيا مع بقاء أبي محرز على القضاء سنة 204هـ/826م، بحيث لم يحدث وأن تولى قاضيان في بلد واحد ووقت واحد [1].

وهكذا سيطر المذهب الحنفي على إفريقية منذ أوائل القرن 3هـ/9م، إذ ساهم أسد في تدوين المذهب الحنفي حيث دون جزءا من المسائل التي أتى بها ابن فروخ عن أبى حنيفة في أسديته[2]،ويدعم المالكي هذا الطرح لما ذكر أن لأسد بن الفرات كتاب المبسوط وهو من أمهات وأصول المذهب الحنفي[3]،الملاحظ أن أسد دعم المذهب الحنفي بالمغرب بمجهوداته ومؤلفاته .

يجب التنويه إلى أن أسد تعمق وتبحر في دراسة المذهب الحنفي إلى جانب المذهب المالكي، بحيث كان يُعلم الفقهين معا في حلقة واحدة [4] ، لذا نجد أن المشهور عن أسد هو أنه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما وافق الحق عنده[5]، ما يعنينا أن المذهب الحنفي انتشر وسيطر بالمغرب فترة لا يستهان بها، لذا يقول القاضي عياض:" وغلب مذهب أبي حنفية على الكوفة والعراق... وظهر بإفريقية ظهورا كثيرا إلى قريب من أربعمائة عام فانقطع منها"[6]

2-موقف فقهاء المالكية من التطور العقدي للأحناف:

إن الأغالبة اتخذوا الاعتزال كاتجاه عقدي رسمي لدولتهم منذ عهد زيادة الله الأول (201هـ- 223هـ/797-816م) مسايرة للخليفة العباسي المأمون، هذا الذي ظهر القول

---

[1] الهنتاتي (نجم الدين)، المرجع السابق، ص314.

[2] هو زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، أمير أغلبي أساء السيرة في الجند وسفك دمائهم، كان يكثر من السوء إذا سكر، توفي سنة 233ه، ابن عذارى المراكشي، أبو عبد الله أحمد بن محمد،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان وإليفي بروفنسال، ط3،ج1، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 96-106.

بخلق القرآن سنة 212هـ /827م[1]، لذا نجد أبا العباس بن الأغلب قد كتب سجلات بخلق القرآن وأمر بقراءتها على المنابر وحمل الناس عليها[2].

ساهم في نشر آراء المعتزلة في المغرب رجال مغاربة قصدوا المشرق للدراسة والاستزادة على يد رجال المعتزلة المتخصصين فتشبعوا بالفكر الاعتزالي وعادوا لبلادهم لنشره أمثال الفقيه الحنفي سليمان بن أبي عصفور[3] وهو شيخ المعتزلة[4].

وقد ظهر في المغرب جملة من رجال الاعتزال الذين برعوا في الجدل والمناظرات أمثال ابن أبي الجواد الذي كان من قادة المدرسة المعتزلية بالمغرب، وكذا الحال بالنسبة لأبي إسحاق المعروف بالعمشاء[5]، وكذلك أبو الفضل المعروف بابن ظفر[6]،ورجل آخر يدعى محمد الكلاعي[7]، ومنهم كذلك محمد المعروف بالمسحي الذي كان في مقدمتهم في المناظرة في خلق القرآن، وكان المعتزلة يقصدونه[8].

إذا مضينا نستطلع موقف فقهاء المالكية من المذاهب الكلامية ومن أهل البدع والأهواء في الفترة الزمنية (ق 2-4هـ/ 8-10م) فإننا لن نستغرب هذه المواقف بناءا على كونهم يكرهون الجدل ولا يميلون إلى التفلسف والتنظير العقائدي.

---

[1] إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، سوريا،2000 ، ص 198.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 343.

[3] هو سليمان بن حفص بن أبي عصفور الفراء، كان يقول بخلق القرآن، توفي سنة 269 هـ، الخشني، المصدر السابق، ص286.

[4] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 199,198.

[5] من أعلام المعتزلة في الكلام ،عرف بالعمشاء لأنه أعمش العينين، كان له أصحاب يجالسونه، وكان يحسن الفرائض، وصحب ابن عبدون، الخشني، المصدر السابق، ص 288.

[6] كان من أهل الرسوخ في علم الطب، كان شاعرا أديبا، ابتلي في آخر أيامه بالجذام ثم مات، نفسه، ص288.

[7] من أهل المناظرة والجدل والمباينة بخلق القرآن، وقد كان ألف على سعيد من الحداد كتابا يناقضه فيه ما ألف على من يقول بخلق القرآن، نفسه، ص288.

[8] نفسه، ص 289.

وهذا يعود إلى كون فقهاء المغرب وعلمائها كانوا متأثرين بالإمام مالك بن أنس وبآرائه في الجوانب العقدية[1]،فموقفه من الاعتزال كان واضحا إذ انه يحذر من ظهور " طريقة جدل بافريقية"[2]

انتشر في افريقية الجدل منذ أواخر القرن 2 ه، وأمام هذا الوضع اضطر أهل السنة إلى الخوض في مسائل العقيدة والدفاع عن عقيدتهم الصحيحة بعد أن امتنعوا عنها[3] لأنهم خافوا أن يتأثر العامة بكلام المعتزلة الذي" هو كلام تصحبه الشياطين"[4] .

ومن المواقف التي تدل على بغض علماء المالكية للاعتزال موقف أسد بن الفرات وقوله:" ويل لأهل البدع هلكت هوالكهم يزعمون أن الله عزوجل خلق كلاما"[5]، إن بن الفرات كان أشد الناس على المعتزلة، ففي أحد الأيام جلس يحدث بحديث رؤية الله في الآخرة، وكان سليمان العراقي حاضرا فأنكر قول أسد، فسمعه هذه الأخيرة فقام إليه وضربه ضربا شديداً فأدماه[6]، وفي هذا الصدد يقول علي بن زياد:"زعم هؤلاء القوم يعني أهل العراق أنهم يحسنون القياس وقد بَنَو على غير أساس".

ولعل البهلول هو أول رجل فعل ذلك مع أهل البدع بحيث كان لا يُسلم عليهم، ثم صار قدوة لتلاميذه في ذلك يقول سحنون بن سعيد:" إنما اقتديت في ترك السلام على أهل البدع والصلاة خلفهم بمعلمي بهلول"، بحيث كان البهلول يمتنع عن مصافحة من عرف بإعتزاله ولا يقبل زيارته حتى يتوب، ومن ذلك لما جاءه أبو محرز لزيارته، قيل للبهلول: أن أبا محرز جاء لزيارتك، فقال لهم: قولو له: "إن كنت على رأيك فلا تقربنا"[7] .

---

[1] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص106.

[2] المالكي ،المصدر السابق ،ج1، ص 177.

[3] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص47.

[4] المالكي، المصدر السابق،ج1، ص 204.

[5] نفسه، ص 265.

[6] ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 224.

[7] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 236.

امتنع المالكية من صلاة على جنازة المعتزلي، ومن ذلك أنه لما مات رجل يدعى الرفاء من أصحاب البهلول، حضر جنازته ابن غانم وابن فروخ والبهلول فأُتي بجنازته وجنازة ابن صخر المعتزلي، فرفض ابن فروخ وابن غانم والبهلول الصلاة عليه قائلين: " كل حي ميت"، وأظهر ابن فروخ لعنته على المعتزلة قائلا:" ... على المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين، وفي يوم الدين، وبعد يوم الدين، وفي طول دهر الداهرين"[1] .

تعددت مواقف المالكية من الاعتزال، إذ قال عياض في ترجمته لسحنون التنوخي كان« شديدا على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم»[2]، تأمل قوله" شديدا على أهل البدع" لتعلم مبلغ الصرامة التي كان يتعامل بها علماء المالكية ضد البدع وأهلها.

لقد كان سحنون يكفر المعتزلة ، بدليل : أنه بمجرد وفاته امتنع أهل بيت الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب (وأكثرهم كانوا معتزلة) الصلاة عليه قائلين: أن سحنون كان "يكفرنا ونكفره". [3]

كما نجد فقهاء القيروان أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري الذي كان معتزليا من أهل المناظرة والجدل، وكان يحضر مجالس الفقهاء المالكية ويستهزء بهم وبعقائدهم[4]، لشدة مواقف أهل السنة كان رجل معتزلي يعلم في سقيفته، إذ مر به محمد بن الحداد فوقف يستمع إلى دروسه، فبلغ ذلك البهلول بن راشد، فغضب عليه، وقال له:" فلا تقربني وأغلظ علي"[5].

اتخذ الفقهاء المناظرة كوسيلة لمقاومة الاعتزال، وأوردت المصادر عدة مناظرات نكتفي بواحة منها تحقيق الغرض من ايرادها فقد جاء أن «ابن أبي حسان يقول: دخلت

---

[1] المالكي ، المصدر السابق،ج1، ص 186.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 48، ويذكر أبو العرب أنا سحنونا "لم يكن يهاب سلطان في حق يقيمه " ،أبو العرب ، المصدر السابق ، ص 102.

[3] نجم الدين الهنتاتي ، المذهب المالكي الغرب الإسلامي ، تونس ، تبر الزمان ، 2004، ص 97.

[4] ابراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 224.

[5] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 204.

على زيادة الله بن إبراهيم فأصبت عنده أسد بن الفرات وأبا محرز وهما يتناظران في النبيذ المسكر وأبو محرز يذهب إلى تحليله وأسد يذهب إلى تحريمه »،إضافة لمسألة خلق القران فقد تناظر فيها الجعفري والعنبري، فهذا الأخير يقول أنه مخلوق بينما الجعفري ينكر أنه مخلوق[1].

كما برز في المغرب الكثير من علماء السنة في التأليف في مختلف مسائل العقيدة والرد على المعتزلة وإبطال معتقداتهم الفاسدة مثل:" كتاب الحجة على القدرية" لمحمد بن سحنون ،وكتاب الرد أهل البدع لنفس المؤلف الذي اهتم بالرد على المخالفين[2].

تدل مواقف أهل السنة تجاه السنة تجاه الاعتزال وأتباعه على مدى حرصهم ، على سلامة العقيدة من أي بدع كانت، فقد أبدوا عناية كبيرة بالمذهب السني وعقيدته الصحيحة، إلى أن أصبح المذهب أهل السنة المذهب الرسمي منذ الخلافة المتوكل العباسي بدل مذهب الإعتزال الذي كان مذهبا رسميا"[3].

ما لبث أتباع الاعتزال أن وجدوا أنفسهم في حالة ضعف وعجز بعد دخول الفاطميين للمغرب حيث استنفذوا كل طاقتهم في صراعهم المذهبي مع المالكية، وخارت قواهم بسقوط حلفائهم الاغالبة، بالإضافة لعنف حركة الشيعة الفاطمية التي أدت بهم إلى الابتعاد عن الساحة ،وأما على صعيد الصراع المذهبي الذي أصبح بين المالكية والشيعة مريراً وقاسيا فإن المعتزلة بقوا منه على الهامش[4].

---

[1] أبو العرب، المصدر السابق، ص89,88.

[2] عبد المجيد بن حمده، المرجع السابق، ص43.

[3] محمود اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، ط1، ج2، دار سينا للنشر ،(د م)،2000، ص 82

[4] عبد السلام همال (الواصلية نشاطها بالمشرق وحركتها المذهبية والسياسية والعسكرية في المغرب الإسلامي110ه-729م/338ه-942م)، مذ كرة سنة الأولى ماجستير، مخطوطة ،إشراف:موسى لقبال، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر،1403,1883، ص 43.

إذن لابد من الاعتراف بأن هناك العديد من الآثار الايجابية للصراع المذهبي والعقائدي، فإنه قد ساهم بالمغرب الإسلامي في التحول إلى المذهب المالكي وتثبيته بالدرجة الأولى، وكذا تثبيت وترسيخ العقيدة الصحيحة بكلتا جانبيها الفقهي والعقائدي.

3-تراجع المذهب الحنفي بإفريقية:

ابتداء من النصف الثاني من القرن 3هـ/9م ظهرت بوادر انتصار المذهب المالكي وكانت له الغلبة على حساب المذهب الحنفي الذي تراجع لعدة أسباب منها:

- خروج أسد بن الفرات على رأس جيش لغزو صقلية سنة212هـ/827م [1] برفقة الشيوخ الحنفية، ترك الساحة المذهبية لسحنون بحيث كانت له الفرصة التي لا تعوض لكي يُعرف بالمذهب المالكي بالقيروان[2]،وذلك بعد أن ألت خطة القضاء والزعامة لسليمان بن عمران[3] الذي آثر تقديم سحنون على نفسه في قضاء القيروان، إذ أشار على الأمير الأغلبي قائلا:" وما يستحق أحد القضاء وسحنون حي"[4]، وفعلا ولي سحنون القضاء سنة 234ه/856م، وتقلد القضاء ست سنين[5] ،ولكن سحنون كان ذكيا لما أحسن استغلال الفرصة، إذ أنه بتعيينه سليمان بن عمران الحنفي قاضيا على الأربس[6] وباجة[7]، والسماح له بالقضاء حسب فقه الحنفي، قد أبعد المذهب الحنفي وزعيم الحنفية عن رفاقه بالقيروان

---

[1] أبو العرب، المصدر السابق، ص 83.

[2] الهنتاتي (نجم الدين)،«تطور المذهب الحنفي بالقيروان»، ص317.

[3] هو سليمان بن عمران الإفريقي ، قاضي إفريقية ،روى عن أسد بن الفرات، توفي سنة 269ه ،ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المالكي،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، لبنان، دار الكتب العلمية، 1996، ص 198.

[4] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 86.

[5] أبو العرب، المصدر السابق، ص 103.

[6] هي مدينة وكورة افريقية،بها معدن الحديد بينها وبين القيروان مسير 3 أيام من جهة المغرب ،الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، (ط2)، بيروت، دار صادر، 1995، ج1، ص 136.

[7] هي بلد بإفريقية كثير الانهار، وفيها عيون الماء العذب والحمامات والفنادق، أرضها صالحة لجميع الزروع ،نفسه، ص 314.

وطبعا ساهم هذا في إضعاف اللأحناف[1]، وهكذا تمكن سحنون من مواجهة أهل البدع والأهواء من المعتزلة وغيرهم،حيث فرقهم في المسجد الجامع، وأدب جماعة منهم لمخالفتهم أمره[2].

وتجدر الإشارة أن سليمان بن عمران تولى قضاء القيروان بعد سحنون مباشرة لكن بعد فوات الأوان على المذهب الحنفي[3]،إضافة إلى تشتت أتباع المذهب الحنفي وتنازعهم فيما بينهم وعدم اتحادهم ومن ذلك أن الفقيه الحنفي أبا عبد الله محمد بن زرزر (ت291هـ/903م) " كان يستخف بسليمان لقصر فهمه في العلم[4] .

بينما أتباع المذهب المالكي كانوا جهة موحدة متكافلين ومن ذلك سحنون تجنب تخطئة أصحابه أمام أسد في مسألة تسرعا في الإجابة عنها وقد قال تبريرا لموقفه: "كرهت أن أخالفكما فندخل عليه إخوانا ونخرج أعداءاَ"[5]،والملاحظ من هذا حرص أتباع المالكية على تماسك وبقاء وحدتهم .

كما رأينا سابقا علماء المالكية قد سخروا جهودهم وتصدوا للاعتزال مع العلم أن بعض الحنفية قد تبنوا الاعتزال مذهبا عقديا، ربما هذا الصراع المذهبي بين هذين الطرفين قد ساهم في تنفير الناس من الاعتزال، وكذا المذهب الحنفي وتوجههم نحو المذهب المالكي[6].

انتشر المذهب المالكي وقل الآخذون بمذهب أبي حنيفة في العهد الأغلبي، ذلك أن «الذين تولوا نشره بعد أسد تجاوزوا أصوله وقدموه في صورة التيسير وتعلق به أصحاب السلطة فإنحرف أتباعه وحللوا شرب النبيذ وتبنى كثير منهم الاعتزال»[7].

---

[1] الهنتاتي(نجم الدين)،« «تطور المذهب الحنفي بالقيروان» ، ص 317.

[2] محمود اسماعيل ، مغربيات ودراسات جديدة، المغرب، مطبعة فضالة،1977، ص133,132

[3] الهنتاتي(نجم الدين)، «تطور المذهب الحنفي بالقيروان»، ص 317.

[4] المالكي، المصدر السابق ، ج1، ص 514.

[5] الهنتاتي(نجم الدين)، «تطور المذهب الحنفي بالقيروان» ، ص 317.

[6] نفسه، ص318.

[7] عبد المجيد بن حمده،المرجع السابق، ص40.

ولعل من مظاهر ذلك التراجع أنه حدث تحول فقهي في افريقية من المذهب الحنفي إلى المذهب المالكي بدليل أن عدداً من الحنفية تحولوا إلى المالكية ، ومثال ذلك تحول جعفر بن الثوام الحنفي[1] إلى المذهب المالكي بعد أن " كان أجداده كلهم ينتحلون مذهب أهل الكوفة"، لهذا كان شيخه أبو بكر بن اللباد (ت339ه/944م) يدعوه" مؤمن آل فرعون"[2]، وكأن أجداده كفار مشركون، وتحول كذلك جبلة بن حمود (ت 299هـ /911م)[3]الذي ينتسب لعائلة حنفية"،« وكان أبوه يصحب السلطان يرى رأي أهل العراق » إلى المذهب المالكي بحيث أن"جبلة كان يسمع كلام العراقيين ثم ترك ذلك وصحب سحنون"[4]، كما أن رجلا حنفيا تحول مالكيا بمجرد أنه رأى في منامه رؤيا لما سأل عن تأويلها قيل له:" تطلب علما لا تنتفع به وسيبديك الله تعالى به علما خير منه" فقال في نفسه:" ماهو إلا قول العراق، فتركه وطلب قول أهل المدينة من كل طريق"[5] .

الظاهرة أن الكفة رجحت للمذهب المالكي ذلك أن أعداد الأحناف تتراجع بشكل ملحوظ بديل أن حوالي 70 رجلا منهم تحولوا إلى المالكية خلال القرن 3 هـ/ 9 م أي أواخر العهد الأغلبي[6]، ويعضد هذا القول ما ذهب إليه القاضي النعمان من أن زيادة الله الثالث لما هرب نحو المشرق أخذ معه جماعة من الحنفية بينما قَتَل الخليفة الفاطمي المهدي[7]، وبهذا تناقص أتباع مذهب العراقيين بالمغرب.

---

[1] كان حنفيا وتحول مالكيا، كان يواظب على سماع العلم وحضور حلقة العلم مع المالكية وقد بلغ في العبادة مبلغا عظيما، المالكي، المصدر السابق، ج2، ص 284.

[22] نفسه، الصفحة نفسها

[3] هو جبلة بن محمود بن عبد الرحمن الصدفي أبو يوسف، كان من أهل الزهد والورع، صالحا عابداً ثقة، كان أفضل رجال سحنون، روى عنه مدونته ،سمع منه الناس، توفي سنة299ه ابن فرحون، المصدر السابق، ص170.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 372,371.

[5] المالكي ، المصدر السابق، ج2، ص 375.

[6] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص223.

[7] هو عبيد الله المهدي أول من قام من الخلفاء الفاطميين، لما تملك المغرب وصارت زمام الأمور بيده، لم يفصح بمذهبه الإسماعيلي إلا لخواصه، أكثر القتل وسبي النساء دامت دولته 25 سنة ومات سنة 322ه، عن عمر ناهز 62

وتمدنا المصادر التاريخية كأبي العرب والخشني بأسماء العديد من الأحناف الذين اختاروا الدخول في المذهب الشيعي أو ما يعرف في بعض المصادر "بالتشريق"[1] لأغراض متعددة، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا بتفصيل أكثر، المهم وما يعنينا أن قدوم الفاطميين للمغرب قد ساهم في تضاؤل عدد الحنفية، وآل المذهب الحنفي إلى الاندثار في إفريقية في منتصف القرن 5هـ/ 11م وسيطر المذهب المالكي على البلاد منذ منتصف القرن 3ه/ 9م [2]، بهذا الانتصار الباهر صار مذهب أهل المدينة الممثل والمسيطر الوحيد على الساحة الفقهية المغربية دون منازع.

ثانيا: المذهب المالكي في المغرب الإسلامي والمواقف منه:

1-انتشار المذهب المالكي في المغرب:

حلَّ المذهب المالكي في العراق محل المذهب الحنفي ولقي انتشاراً واسعا لدرجة أن أبا إسحاق إسماعيل (ت 282هـ/904م) الفقيه المالكي شغل منصب قضاء بغداد لمدة خمسين عاما وعمل خلال هذه الفترة على توسيع دائرة انتشار المذهب المالكي .

وكان انتشار المذهب المالكي في دول مغربية علوية وخارجية حيث أن دولة الأدارسة العلوية اعتمدت المذهب المالكي في الفقه بدلا من مذهبها الزيدي[3] .

وفي هذا الصدد يذكر السلاوي أنه« لما ظهر مالك بالمدينة وعظم صيته وانتشرت فتاويه بأقطار الأرض رحل إليه جماعة من أهل الأندلس والمغرب»[4].

سنة، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: ابراهيم الزيبق،(ط1)، بيروت ،مؤسسة الرسالة، ج 15، ص 151.

[1] انظر (عمر) ابن حمادي، "حول نعت الداخلين في الدعوة الفاطمية بالمشارقة"، مجلة حوليات الجامعة التونسية،(د.م)، العدد 39، 1995، ص 282.

[2] الهنتاتي (نجم الدين)، « تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى»، ص324.

[3] محمود إسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي،ج2، ص84-88.

[4] الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، جمع وتنسيق: عبد الحميد لغليطي وسويسي جمال، دار الكتاب دار البيضاء، 1954، ج،1 ص62.

ولاشك أن دخول المذهب المالكي وانتشاره بالمغرب يعود إلى تلاميذ مالك من الطبقة الأولى أمثال علي بن زياد الذي يعتبر« هو أول من أدخل الموطأ للمغرب وفسر لهم قول مالك، لم يكونوا يعرفونه، وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم وهو الذي علّم سحنون الفقه"[1]، وعبد الله بن فروخ الفارسي (ت 176هـ/801م)الذي أسهم في نشر المذهب بحكم صحبته الطويلة للإمام مالك بن أنس [2] .

تذكر كتب الطبقات عددا من طلبة المغرب رحلوا للمشرق للإلتقاء بالإمام مالك والأخذ عنه وبرجوعهم إلى بلدهم نشروا مذهبه بالتدريس والفُتيَا و القضاء والشورى وغيرها، بالإضافة إلى ابن فروخ وعلي ابن زياد نجد البهلول ابن راشد وابن غانم وأسد ابن الفرات وغيرهم كثير ممن أخذوا عن مالك مباشرة ولم ينتقل مالك لجوار ربه حتى انتشر مذهبه بأقطار إسلامية مختلفة وصارت مدرسته من أقوى المدارس تمسكا بآراء[3].

والجدير بالذكر أن تلاميذ مالك المغاربة لم يقصدوا المدينة فقط لأخذ العلم بل قصدوا كذلك مصر للالتقاء بأعلام المذهب هناك ومن ذلك أن أسد بن الفرات رحل إلى مصر وأخذ أسديته عن علي ابن القاسم إمام المالكية بمصر، والأمر نفسه بالنسبة لسحنون لما أخرج مدونته رحل أيضا لمصر سنة 188هـ/810م، وتزود من علماء المالكية بها كابن وهب وابن القاسم، وكذلك كان حال عيسى بن مسكين[4]، الذي أخذ عن علماء المذهب المالكي بمصر وغيرهم[5].

---

[1] القاضي عياض ، المصدر السابق،ج3، ص 80، أنظر كذلك : المالكي ،المصدر السابق ، ج1، ص 234.

[2] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص176.

[3] عمر الجيدي ، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، (ط1)،الرباط، الهلال العربية، 1993، ص16

[4] هو أبو موسى عيسى بن مسكين، كان من أهل الورع الصحيح والصمت الطويل، تولى خطة القضاء ولم يأخذ جرا، سمع من سحنون وغيره من شيوخ القيروان، الخشني ، المصدر السابق، ص193.

[5] محمود إسماعيل، الأغالبة وسياستهم الخارجية، ص86.

لقد أسهم البهلول بن راشد وعبد الله بن غانم القاضي وآخرون على ترسيخ المذهب في نفوس تلاميذهم، فالبهلول بمواقفه المتشددة من أهل البدع عمل على تثبيت المذهب المالكي بحيث كان يقاطع طلبته إذا خالفوا أمره.

واكتسح المذهب المالكي البلاد مع الطبقة الثانية من تلاميذ المذاهب وأسهم أسد بن الفرات الذي كانت جهوده التأليفية الفقهية على أساس المذهب المالكي سببا في نشر المذهب والتمكين له[1]، لذلك قال القاضي عياض:" فغلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر وما والاها من بلاد إفريقية والأندلس"[2].

لاغرو أن الدور الأعظم في نشر المذهب المالكي كان لسحنون ، ويؤكد السلاوي هذا بقوله:" ظهر المذهب المالكي بإفريقية ظهوراً بَيِّنًا قبل وجود المعز بكثير بل قبل استيلاء العبيديين على المغرب وذلك على يد أسد بن الفرات وسحنون..."[3]، لقد انتشر المذهب المالكي بالمغرب وذاع صيته بفضل سحنون نظراً لقوة شخصيته ومزاولته التدريس فقد كان يشجع ويحث الناس على اتباع هذا المذهب وله مقولة هي:« من أخذ بفُتيا مالك فما ترك من الورع شيئا»، وامتنع عن مصاحبة السلطان وأظهر التعفف، إنه بمجرد توليه القضاء تمكن من نشر المذهب المالكي بشكل رسمي[4].

واصل كبار تلاميذ سحنون تثبيت المذهب ونشره أمثال:ابنه محمد بن سحنون ومحمد بن عبدو س[5] ويحي بن عمر(ت289هـ/902م)[6] ،وعبد الله بن طالب

---

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 277-278.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 62.

[3] السلاوي ، المصدر السابق، ج1، ص 62.

[4] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي، ص51.

[5] هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدوس، الفقه العابد أفقه رجال عصره ، كان زاهدا حافظا له كتاب يشرح المدونة، توفي سنة 163ه، محمد مخلوف ،المرجع السابق، ص70.

[6] هو يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكندي، سمع من سحنون، كان ثقة وحافظ للرأي، كان له وقار وسكينة كان إمام في فقه وكثير الكتب في الفقه والآثار، توفي سنة 289ه، عياض، المصدر السابق، ج4، ص 357.

(ت 275ه888م) [1] وعيسى بن مسكين وغيرهم كلهم برهنوا على حرصهم في الذب عن المذهب المالكي، ويقول فيه الدباغ:" كأن أصحاب سحنون مصابيح في كل بلدة عُدَّ له نحو سبعمائة رجل ظهر بصحبته وانتفعوا بمجالسه"[2].

لابد أن تكون هناك أسباب أخرى لانتشار المذهب المالكي نذكر منها:

- شخصية الإمام مالك واستقامة سلوكه والتزامه الصارم باتباع الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين، هذا ما جعله محبوبا عند المغاربة وكسب ثقتهم.
- موقف بعض الخلفاء العباسيين (المتوكل) الذين تمسكوا بهذا المذهب وأمروا بإتباعه،بحيث أرسل هذا الأخير إلى الولايات التابعة له أمراً بضرورة إتباعه، كما فعل سابقوه مع المذهب الحنفي .
- ملائمة مذهبه لطبيعة المغاربة فهو عملي، أي يتماشى مع الواقع ويأخذ بأعراف الناس، أكثر منه نظري بحيث يتماشى مع الفطرة على بساطتها وأهل المغرب يميلون للبساطة[3] .
- كما أرجع ابن خلدون بسبب انتشار المذهب إلى رحلة المغاربة للحجاز وإلتقائهم بإمام المذهب،لقوله:" لم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة ، وشيخهم يومئذٍ وإمامهم مالك ... فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته ..." [4].
- إضافة إلى مراعاة المذهب المالكي للعرف وتميزه بكثرة الأصول التي تمنح للقاضي اختيار أصلحها وأقربها للعدل[5]، إن ما يعنينا أن الأمور عادت لنصابها إذ أن المذهب

---

[1] هو أبو العباس عبد الله بن طالب، كان فظا جيد النظر، يتكلم في الفقه حريص على المناظرة وفقيه ثقة وعالم، كان ورعا في حكمه وعدلا في قضائه، المصدر نفسه، ص308.

[2] الدباغ، المصدر السابق،ج2، ص 98.

[3] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص 35،36.

[4] ابن خلدون،أبوزيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة ، بيروت ، مكتبة الهلال ، 1983، ص 285.

[5] نجم الدين الهنتاتي ، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص 65,64.

المالكي عاد لصيغته الأولى إذ يقول أحد الدارسين:" اتحد الفقه السني وأجمع فقهاؤه على إغلاق باب التجديد والاجتهاد"[1].

2-مظاهر تعايش الأغالبة مع المذهب المالكي:

عرفت الساحة الفقهية بالمغرب نوعا من التعايش بين المذهب المالكي والمذهب الحنفي بحيث كان أتباعها صفا واحداً تجمعهم روح المودة والأخوة، ونقلا عن عياض فإن القيروان كان« الغالب عليها إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة»[2]، فمنذ دخولهما المغرب كان هناك تعايش بين هذين المذهبيين الفقهيين[3]، لعل من مظاهر هذا التآخي والتعايش عبد الله ابن فروخ فمع أخذه بمذهب مالك ومعرفته له فإنه كان صاحب نظر واستدلال وميل إلى قول أهل العراق إذ تبين له أن الصواب في قولهم ، لذلك ذكر عياض:« كان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن أنس وبصحبته اشتهر، به تفقه، لكنه كان يميل إلى النظر والاستدلال فربما مال إلى قول أهل العراق فيما يبين منه الصواب»[4]، كما ذكرنا سابقا فقد كان لابن فروخ فضل في نشر المذهب الحنفي في إفريقية، حيث« كان مالك بن أنس يكرمه ويعظمه»[5]،

---

[1] محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ج2، ص 88.

[2] القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص 26.

[3] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص22.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق،ج3، ص 102، أُنظر كذلك الدباغ، المصدر السابق، ج1، ص 239، والمالكي، المصدر السابق،ج1، ص 177.

[5] نفسه،ج3، ص 104.

قد تولى كذلك ابن غانم القضاء في العهد الأغلبي بتعيين من القاضي أبو يوسف الذي كان حنفيا ، يتولى تعيين القضاة في الخلافة العباسية من المشرق إلى المغرب وقام ابن غانم بدوره وفصل في الخصومات،ونشر العلم فرغم أنه متمسك بمذهب مالك إلا أنه يقرأ فقه أبى حنيفة لتلاميذه يوما في الأسبوع، وبقي هكذا إلى أن توفي سنة 190هـ/805م وصلى عليه الأمير الأغلبي إبراهيم بن الأغلب[1] .

ويدعم المالكي هذا الطرح لما ذكر أن أسد بن الفرات كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما وافق الحق عنده[2]،لذا فإن المذهبين الحنفي والمالكي عرفا فترات من الوفاق والوئام، ويؤكد المقدسي هذا بقوله:"وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا وأقل تعصبا منهم"[3] .

يكمن الاتفاق بينهما في العمل بكتاب الله عزّوجل ورسوله وأقوال الصحابة التابعين هذا لكونهما ينتميان إلى السنة كما نجدهما يتفقان في عدة فروع مثل:مسائل آذان للصلاة والمسح على الخُفَين ومقدار الصاع والبسملة في الصلاة بصوت منخفض وغيرها، إضافة للتعاون المالي بينهما بحيث قدّم علماء المالكية مساعدات مالية للحنفيين والمعوزين، ومن ذلك أن سحنونا كان يعطي لمعمر بن المنصور الحنفي 10دنانير ونحوها صلة، الظاهر أن منح الأغالبة الأحناف الحرية لشتى المذاهب قد أسهم في تعايشها في فترة من الفترات عهدهم رغم الاختلاف الجذري في بعض المبادئ الأساسية[4]، ونتيجة لهذه العلاقات المذهبية التي اتسمت بالتعاون والتعايش أفسح مجال واسعا لفقهاء المالكية في القضاء والفتيا والتدريس، ودخل المذهب المالكي الحياة السياسية

[1] محمد محمد زيتون ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار المنار،1988، ص123.

[2] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 263.

[3] المقدسي ، المصدر السابق، ص 220.

[4] عبد المجيد بن حمده ، المرجع السابق، ص104.

والاجتماعية، مما كان له أكبر الأثر في ازدهار التفريع والتأصيل[1]، ومن ذلك : أن العديد من فقهاء المالكية تولوا خطة القضاء أمثال ابن غانم وابن طالب وسحنون وأسد بن الفرات ، رغم أنه مالكي إلا أنه عين قاضيا إلى جانب أبي محرز الحنفي المعتزلي (ت 221ه/832م)[2] .

الجدير بالذكر أن الخلاف في الأحكام القضائية نجده أقل حدة رغم أن المذهبين من السنة والفارق بينهما فكري فقط[3]،ومن جانب آخر إن ما يلفت الانتباه أن هناك تعايش بين أتباع المذهبين ولو ظاهريا بدليل تقديم سليمان بن عمران سحنون في خطة القضاء على نفسه، وتتوطد العلاقة بينها أكثر بعد تولي سحنون القضاء واتخاذه سليمان مساعدا له أي كاتب ثم قاضي على باجة، كما سمح له أيضا بالعمل بمذهبه الحنفي، ويؤكد الدباغ هذا بقوله أنه لما تولى سحنون القضاء:" اعتنى بسليمان بن عمران حتى استكتبه، ثم عُني به حتى ولاه قضاء باجة"[4] .

وفي السياق نفسه كان أبو يحي أحمد محمد بن قادم حافظا للمذهب الحنفي، ومذهب أهل المدينة وصحب أسد بن فرات ولازمه وشهد معه فتح صقليه[5].

3-مظاهر الصراع المذهبي بين الحنفية والمالكية:

---

[1] محمد مختار محمد ، المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته وخصائصه وسماته، ط1، الإمارات، مركز زايد للتراث والتاريخ، (د ت)، ص107.

[2] هو محمد بن عبد الله بن قيس، سمع عن مالك بن أنس وعبد الله بن فروخ، كان فاضلا وورعا وفقيه عارف بالحجة ، ولي القضاء بعد عبد الله بن غانم سنة 191ه الخشني، المصدر السابق، ص30، كذلك انظر: الدباغ، المصدر السابق،ج2، ص 48.

[3] جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد، مطبعة الانتصار، مصر 1999، ص106.

[4] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 131.

[5] نفسه، ص 111.

كما عرفت العلاقات الفقهية بين المالكية والحنفية في المغرب فترات من التعاون والتعايش،عرفت كذلك فترات من الصراع المذهبي واستطالوا على بعضهم البعض وعرّضو بعضهم البعض للمحن والضرب كلما أتيحت لهم الفرصة لذلك.

وتجدر الإشارة قبل الحديث عن الصراع إلى أن الهدف من مقاومة المالكية للمذهب الحنفي لم يكن القضاء على المذهب الحنفي، فهم يعترفون به كمذهب سُني له مكانته إنما هو يقاومون أتباعه الذين انحرفوا وابتعدوا عن السنة كثيراً.

وفي هذا السياق ذكر عبد العزيز المجدوب أسباب الخلاف بين الحنفية والمالكية وسمّاها أسباب أصلية أساسية، ونذكر منها: مسألة تحليل " النبيذ" عند الحنفية وهو محرم عند المالكية، وتعرض المالكية للتنكيل والتعذيب لعدم قولهم بذلك، والأمر الثاني: "القول بخلق القرآن"وحمل الناس عليه لتبني الأمراء والقضاة الأحناف لمذهب الاعتزال، أما السبب الثالث هو:التعامل بالربا"[1].

لم يسلم سحنون شيخ المالكية من محنة خلق القرآن حتى وإن كان بعيداً عن السياسة ورجالها، من ذلك أنه تولى القضاء دون أخذ أجر على ذلك، وترك مسافة فاصلة بينه وبين أهل السلطة الذين كادوا له مكيدة، وفي هذا يقول أبو العرب:" دارت على سحنون بن سعيد محنة لم يكن منها غير أن توارى من أبي جعفر الأغلب على القول بخلق القرآن"[2] مع العلم أنه لما تولى أحمد بن أغلب الإمارة وأخذ الناس بمحنة القرآن وخُطب به بالقيروان، تخفى سحنون واستتر لكي لا يجبر على القول بخلق القرآن، لكن الأمير أرسل يطلب سحنونا وفعلا جاءه هذا الأخير، وجمع له القواد والقاضي ابن أبي الجواد وسأله عن القرآن؟ فرد سحنون: " أما شيء ابتدئه من نفسي فلا، ولكني سمعت من تعلمتُ منه وأخذت عنه، كلهم يقولون:" القرآن كلام الله غير مخلوق"، فقال ابن أبي جواد:" كَفَر أقتله ودمه في عنقي"، وقال بعضهم:" يُقطع أرباعا ويُجعل كل ربع بموضع من المدينة"، أما

[1] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص66-87.

[2] أبو العرب، المصدر السابق، ص 127.

البعض الآخر بما في ذلك الوزير علي بن حميد فقد أشاروا على الأمير بقتله قتل الحياة أي أن لا يفتي ولا يُسمِع أحداً ويلزم داره وتم ذلك[1].

من مظاهر الصراع بين المذهبين أن علماء المالكية امتنعوا عن الصلاة وراء الإمام الحنفي، ومن ذلك أنه رفض سحنون الصلاة على جنازة وراء القاضي الحنفي المعتزلي ابن أبي الجواد تعرض لمحنة أخرى، بأن أمر الأمير زيادة الله الأول عامله أن يضرب سحنون خمسمائة سوط ويحلق رأسه ولحيته، إلا أنه لم ينفذ أمر ضرب سحنون لتدخل الوزير علي بن حميد[2]، ذلك نظراً لشعبيته الكبيرة، كما يذكر القاضي عياض أن جبلة بن حمود رفض الصلاة وراء ابن عبدون[3] في إحدى جنازات وانصرف أمام الناس لأنه ضرب ابن متعب والذهبي وفلانا وهم من أصحاب سحنون الذي أخذ عن مالك وعن التابعين والصحابة وعن النبي، وسماهم حزب الشيطان[4].

ونقلا عن الخشني (ت 361هـ/ 971م) فإن ابن عبدون القاضي في أيامه " استطال على طبقة المدنيين وامتهنهم وضرب جماعة منهم وضرب أحمد وإبراهيم المعروف بالدمني وابن عبدون العطار وأبو القاسم مولى مهربة" وبلغت درجة تعنته انه بعد عزله قال إبراهيم بن أحمد الاغلبي " لو ساعدته لجعلت له مقبرة على حدة"[5] .

بالغ الأغالبة في امتحان المالكية حيث ضغطوا عليهم ونكلوا بهم ورأوا منهم العذاب الشديد، ومن ذلك أن ابن طالب تعرض لمحنة كبرى لمجرد أنه نظر إلى ما شرعه إبراهيم بن الأغلب من الفسوق والجور واستطاله على المسلمين بعدم رضى وسخط، فما كان منه إلا أن عزله وحبسه وأوكل أمره إلى القاضي ابن عبدون الحنفي المتعصب على

---

[1] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 95,94.

[2] الدباغ: المصدر السابق. ج2. ص 93.

[3] هو أبو العباس بن عبدون القاضي ، كان حافظا لمذهب أبي حنيفة ، وكان موثقا كاتبا ،للشروط والوثاق ، ولاه الأمير ابراهيم بن أحمد القضاء ثم عزله ، الخشني ،المصدر السابق ، ص 242.

[4] القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص 377.

[5] الخشني ، المصدر السابق، ص 242،

المالكية، فنكّل به، «وقد صار إلى ما صار إليه وذهب عقله وفهمه لعظيم محنته»، ثم أمر السودان، فركضوا بطنه وسال منه دم غزير حتى مات رحمه الله[1].

كما تعرض غيره من فقهاء المالكية لنفس المحنة أمثال : أبي الوليد عباس بن الوليد الفارسي وأحمد بن نصير الهواري، وأبي جعفر القصري، وغيرهم ممن تعرض للإهانة والتعذيب من قبل ولاة بني الأغلب[2].

وبمرور الأيام شاءت الأقدار أن يعزل ابن أبي الجواد ويولى مكانه على خطة القضاء سحنون، و«دارت على القاضي ابن أبي الجواد، محنة بعد عزله من سحنون ضَربهُ بالسياط»[3]، كما تعرض أحد الحنفية وهو إبراهيم بن عتاب للحبس على يد ابن طالب لرفضه الصلاة وراء ابن عبدوس المالكي[4].

حظيت الخلافات المذهبية الفقهية كذلك بين المالكية والحنفية فيما يتصل بالوجه الشرعي في مسألة النبيذ ودرجته ومسألة شربه بالعديد من المؤلفات من قبل فقهاء المالكية[5]،فمحمد بن سحنون له كتاب بعنوان:" تحريم المسكر" وهو الكتاب الذي طالبه فيه والده بأن يتحرى الدقة والموضوعية في القائلين بعدم التحريم، ومن كتبه كذلك كتاب "الإباحة" وكتاب "الأشربة"[6]

[1] عياض، المصدر السابق،ج4، ص327,326,325.

[2] نفسه، ص 41.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص 299.

[4] نفسه، ص 236.

[5] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 270.

[6]القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص207.

الفصل الثاني

التحولات العقدية في بلاد المغرب وموقف السلطة والفقهاء منها

أولا:المد الشيعي الإسماعيلي وموقف السلطة والفقهاء منه:

1- تقرير الدولة الفاطمية للمذهب الشيعي.

2- مواقف أهل السنة من التشيع.

3- مواقف الشيعة من أهل السنة .

ثانيا: سيادة المذهب السني في العهد الزيري.

1- دور السلطة الزيرية في ترسيم المذهب السني.

2- حسم الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة في العهد المعز بن باديس.

3- إنتصار المذهب السني.

أولا:المد الشيعي الإسماعيلي وموقف السلطة والفقهاء منه.

1- تقرير الدولة الفاطمية للمذهب الشيعي:

دخلت الحركة الشيعية الإسماعيلية للمغرب سنة 145ه/762م مع الداعيتين عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالحلواني ، وأبو سفيان الحسن بن القاسم ، بحيث بث هذان الداعيان الأفكار والدعاية الشيعية التي تأثر بها أبناء كتامة، ومهدا الطريق لأبي عبد الله الشيعي الداعي لعبيد الله المهدي[1].

ودخل أبو عبد الله المغرب متخفيا في ثوب معلم قرآن، ولما تأكد من مساندة كتامة لدعوته، أعلن وجاهر بدعوته للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال لهم:"أنتم أنصار أهل البيت وشيعتهم"، وأخبرهم بأنه داعي لطاعة الإمام معصوم من أهل البيت[2] وكان رفيق بسكان المغرب أثناء حركته التوسعية [3] .

وبالسلوك الحسن كان يمهد للقيام بمطالب التوجيه الديني ثم شيئا فشيئا يصبح شيخ قبيلة سكتاتة الكتامية وأنشأ العديد من الأنصار ومال الناس للدعوة الشيعية بعدما سئموا حكم بني الأغلب، خاصة وأن زيادة الله الثالث قد أخطأ كثيرا في حق أهل إفريقية[4]، إلا أن موسى لقبال في كتابه يؤكد على أن ما نسب إلى أبو عبد الله من أساليب والحيل في التدرج في كسب كتامة لصفه قبل أن يكشف عن شخصيته هو مجرد قصة للتأثير والكسب أوردها مؤرخو الشيعة ونقل عنها الكثير من المؤرخين منهم ابن خلدون الذي تكاد روايته تطابق رواية القاضي النعمان [5] .

---

[1] فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطيمية بالمغرب ، ترجمة : حمادي الساحلي، ط1، لبنان، 1994 ، ص79,78.

[2] إبراهيم التهامي ، المرجع السابق، ص295.

[3] موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1979،ص 219.

[4] حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب العربي والأندلس،(د م)،،مكتبة الأسرة، 1992 ،ص143.

[5] موسى لقبال ،دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية،ص222.

واحتضنت الدعوة الشيعية بإفريقية مدينة تلو الأخرى بمساعدة كتامة، ورغم وقوف الأغالبة في وجه الأدارسة إلا أنهم لم يستطيعوا منع المد الشيعي الإسماعيلي من التسرب والتغلغل داخل الدولة[1]، و تمكن الشيعة من إسقاط عاصمة الأغالبة سنة 296هـ/ 909م[2].

ففي سنة 296هـ/909م انقطعت الخطبة للعباسيين من إفريقية نظرا لزوال دولة الأغالبة، وبدأ أبو عبد الله الشيعي تنظيم أمور المغرب، وقام بتعيين قاضي شيعي على القيروان للإفتاء وفق المذهب الجديد،كما كلف أناسا من كتامة بالدعوة لمذهبه[3]، وأمر الخطباء برقادة والقيروان بعدم ذكر أحد في أول يوم جمعة ، وأمر بضرب السكة فجعل على وجه: « بلغت حجة الله»، وعلى الوجه الآخر:« تفرق أعداء الله» ،ووسم على أفخاذ الخيول:« الملك لله»[4].

أما في سنة297هـ/910م أخذ عبد الله المهدي بيعة عامة في القيروان وبذلك انتهت ولاية أبو عبد الله الشيعي بعد أن استمرت عشر سنوات، و أصبح وزيرا عبيد الله المهدي[5] ،ومشى عبيد الله والدعاة بين يديه وأبو عبد الله يقول:" هذا مولايَ ومولاكم... الذي كنتم تنتظرون وجميع الناس يسمعون كلامه"[6].

---

[1] محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص144.

[2] عبد الله محمد، جمال الدين ، الدولة الفاطمية إلى نهاية القرن 4ه، القاهرة،دار الثقافة ، 1992، ص30 .

[3] محمود إسماعيل ، المرجع السابق، ص203، 204.

[4] ابن الأثير، أبو الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت 630ه)، الكامل في التاريخ، مراجعة وتعليق: محمد يوسف الدقاق، ، (ط1)،بيروت،دار الكتب العلمية، ج6، 1987، ص459.

[5] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص145.

[6] الدرجيني ، أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاى، الجزائر، مطبعة البحث، ، 1974، ص95,96. أما بشأن مصير الداعي الشيعي فقد أجمعت الروايات على مسألة قتل المهدي له ولأخيه ،فابن خلدون يقول "أمرهما بقتل الشيعي وأخيه "، ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص48 ،والذهبي كذلك بقوله "أما عبد الله وأخوه،فإنهما أخذا يخببان عليه فقتلهما "، الذهبي ، المصدر السابق ، ج15، ص 146.، ويورد الدرجيني هذه الرواية في كتابه السابق ، ج1،ص 96.

ويذكر ابن الأثير:" زال ملك بني الأغلب وبني مدرار وبنو رستم ...،وملك المهدي جميع ذلك وأمر المهدي بذكر اسمه في الخطبة في البلاد وتلقب "بالمهدي أمير المؤمنين"[1] ،اتسمت سياسة الفاطميين في بادئ الأمر باللين وفعل الخير للوصول لأهدافهم ويتمكنوا من إحكام قبضتهم في المغرب، ومن ذلك ما ذكره ابن عذارى إذ أن الفاطميين أعفو الناس من ضريبة من العشر، كما قال أبو عبد الله:" لا خراج على المسلمين في أموالهم"[2].

لما استتب الأمر للشيعة الفاطميين أمر عبيد الله بزيادة في الآذان (بعد حي على الصلاة)،"حي على خير العمل"، وقام بإسقاط " الصلاة خير من النوم" من الآذان الفجر ،كما أمر ولاته بقتل من يشرب مسكراً (أو يحمله أو يوجد عنده) وقَتلِ من يخرج ليلا ،كما أصدر أمرا بالصلاة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخطب بهذه الصيغة: " الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم وعلى فاطمة والحسن والحسين وأظهر التشيع على علي ومعاذة من قدم عليه من أصحاب النبي عليه السلام"، وأسقط صلاة التراويح في رمضان ولما احتج الفقهاء، قال لهم "اعملو بمذهب آل البيت وتركوا الفضول"، ونقش على السكة﴿الحمد الله رب العالمين﴾ سورة الفاتحة آية-1، وسماها السَّيدية، كما نقش آيات قرآنية كثيرة مثلا:﴿ وتمت كلمات ربك صدوقا وعدلا ولا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ سورة الأنعام-آية 115،ونقش على الخاتمه﴿فتوكّل على الله إنك على الحق المبين﴾[3]سور النمل- آية 79.

كانت دنانير العهد الفاطمي التي تحمل اسم المعز لدين الله الفاطمي إشارة في نصوصها إلى المعتقد الشيعي من تفضيل علي بن أبي طالب وتخصيصه بالوصية

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 141، 142، انظر ،موسى لقبال، دور كتامة في الخلافة الفاطمية ، ص 326.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص142,141.

[3] نفسه،ص 151، أنظر الدباغ، المصدر السابق، ج1،ص 291.

والوزارة والنبوة المحمدية، حيث ورد في أحد أوجه الدنانير النص التالي:" وعلي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين"

لقد عمد المهدي إلى نشر مذهبه بحد السيف، وقام بتغيير النظم والأحكام بما يتماشى مع المذهب الإسماعيلي، واختص كتامة وصنهاجة بالمناصب العليا في دولته،وهكذا انتهج الفاطميون سياسة مالية متعسفة، فالمهدي اعتمد سياسة مغايرة لسياسة أبي عبد الله الشيعي المعتدلة فإنه تفنن في فرض وزيادة الضرائب[1].

2- مواقف أهل السنة من التشيع:

يعد أول موقف اتُخِذ ضد الفاطميين هو إظهار اللعنة على الشيعي، وتحريض الفقهاء للناس على محاربته، ونستحضر بهذا الصدد مانقله ابن عذارى عن اجتماع فقهاء إفريقية بتونس عند ابن الصائغ (صاحب البريد) بأمر من زيادة الله للتفاوض بشأن أبي عبد الله الشيعي، وقال ابن الصائغ على لسان زيادة الله:"هذا الصنعاني الخارج علينا مع كتامة يلعن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ... ويُسمى أصحابه المؤمنين، ومن يُخالفه في مذهبه الكافرين..."،فتبرأ الفقهاء منه ولعنوه وقاموا بتحريض الناس على قتاله وأفتوهم مجاهدته[2]،وهنا نقف على وصف شيخ الإسلام ابن تيمية للإسماعيلية الذين يقولون بعصمة بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن جعفر إذ يصفهم بالملاحدة المنافقين ،كما اعتبر كبار الإسماعلية العارفين بحقيقة دعواهم الباطلة، زنادقة المنافقون أما عوامهم الغير عارفين باطن أمرهم فقد يكونون مسلمين"[3].

---

[1] محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى النصف القرن 4 ه، دار الثقافة ،المغرب،1985،ص221,220

[2] ابن عذارى، المصدر السابق،ج1 ،ص 138

[3] ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ،مناهج السنة النبوية ، تحقيق محمد رشاد سالم ،ج2،ط1، (د ت).(د م)،1986،ص 452

ثم جاء الأمر المحتوم، لما سمع الشيعة بهروب زيادة الله توجهوا إلى القيروان وخافهم الناس، وخرج بعض أهل القيروان بما في ذلك الفقهاء للالتقاء بأبي عبد الله الشيعي وأظهروا رغبتهم في دولته وأعطاهم الأمان ووعدهم بالعدل والإحسان[1]،يبدو أن هذا الذي حصل قد جعل هؤلاء يستسلمون لأمر الواقع وإلا فما يفسر خروجهم هذا؟

لقد تنوعت وتعددت مواقف السنيين تجاه التشيع، فهناك من انضم وانتهى إليه بالتحول من السنة إلى الشيعة الإسماعيلية حسب ما أوردته المصادر المالكية بالإسم التشريق، إلا أن هذه الظاهرة شملت الأحناف بينما المالكية فقد تجندوا لمجابهة التشيع، وحسب الهنتاتي والكثير الدراسات يمكن تقسيم المقاومة إلى قسمين : مقاومة سلبية ذات طابع سلمي ومقاومة عملية ذات طابع ثوري،وتتجلى المقاومة السلبية في مقاطعة مؤسسات الدولة وأعوانها، ومن ذلك عدم الانضمام إلى الجيوش البحرية الفاطمية[2]،ويذكر عبد العزيز المجدوب أن أهل العلم قطعوا صلاة الجمعة، ولا يختلطون برجال الدولة الجديدة و كما هجروا رقادة وقاطعوا قاصديها إعلانا منهم على تمسكهم بالسُنة[3].

أما عن مقاطعة صلاة الجمعة ورفض الصلاة خلف أئمة الشيعة فإن جبلة الصدفي خَيْرُ مثال، "إذ أنه لما خطب عبيد الله الشيعي أول جمعة على الفور خرج جبلة من الجامع لما سمع كفرهم ونواياهم، بالإضافة إلى موقفه هذا فإنه لما دخل عبيد الله إفريقية ونزل رقادة كان جبلة يخرج إلى طرف القيروان بمحاذاة رقادة ومعه سلاحه بهدف حراسة عورات المسلمين من الشيعة، فإن رأى منهم شيئا حرّك المسلمين عليهم، مع العلم أنه اعتبر جهاد الشيعة أفضل من جهاد الشرك[4].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق،ج1، ص150.

[2] (نجم الدين)،الهنتاتي،« الصراع المذهبي بين القيروان وتفاعله مع واقعها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني إلى منصف القرن 4ه»،مجلة حوليات الجامعة التونسية ،(د م)، العدد 44، 2000، ص 188.

[3] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص187.

[4] عياض، المصدر السابق، ج4، ص376,375.

وهناك من اختار الهروب بدينه كموقف اتجاه التشيع الإسماعيلي أمثال: أبو عبد الله محمد بن بسطام الضبي رحل من القيروان إلى سوسة واستوطنها ، وأبو محمد عبد الله التاهرتي و ابن الخزاز الميلي فقيه وشاعر ،كان قاضيا بمليلة وهرب إلى قرطبة سنة 325هـ/938م خوفا من جند الشيعة، وأحمد بن نصر الداودي الأسدي (ت 402هـ/1012م) كان ينكر الإقامة في ظل دولة الشيعة لأنهم كفار[1]،كما نجد أبو محمد بن يونس بن محمد الورداني (هو من أصحاب سحنون وسمع منه الكثير) قد خيّر أهله بين الرحيل من البلد أو الخروج لرعي البقر، فرأوا أن رعي البقر خير من مفارقته، وفعلا اهتم برعي البقر وكان يقضي كل نهاره في قراءة القرآن حتى إذا أدبر الليل رجع لبيته ، ويرى القاضي عياض أن الله قد أبعده من فتنة الشيعة الفاطميين[2].

ومنهم من تمنى الموت ليَسلم من شر الشيعة وهو أبو الفضل يوسف بن نصر الذي قال:" لو علمت أن أحدا تجاب دعوته في الموت لسألته فيه، وكيف لا أحب الخروج من دار فيها إبليس والفتن وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها الاجتماع مع النبي صلى الله عليه وسلم"[3] .

لعل منتهى الثبات والتمسك بالمذهب السني يتمثل في ابن أبي سهل الخشني(ت406هـ/1017م)الشاعر السُني الذي لما دعاه الكاتب الشيعي عبد الله بن محمد لاعتناق المذهب الشيعي، رد عليه بأبيات وافية راجيا منه عدم الإلحاح على رجل لا يريد بيع ولائه بالمال"[4].

---

[1] إبراهيم التهامي ، المرجع السابق، ص315.

[2] القاضي عياض ، المصدر السابق،ج4، ص 420.

[3] الدباغ، المصدر السابق،ج3، ص 15.

[4] الهادي روجيى إدريس ، الدولة الصناهاجية، ترجمة : محمد الساحلي،ج2،دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د ت) ،ص314.

ومن المقاومة السلبية أيضا محاولة الطعن في نسب الفاطميين الهاشمي ونسبتهم إلى اليهود، إضافة إلى التأليف ونظم الشعر للرد عليهم مثل القلانسي (ت359ه/969م) ألف" كتاب الإمامة والرد على الرافضة"، كما تم نظم القصائد في هجاء بني عبيد[1]،

اتبع الفاطميون سياسة مالية واجتماعية ودينية أرهقت كثيرا علماء السنة وأهل المغرب،[2]فإثر رفض الخليفة عبيد الله المهدي تخفيف ضريبة سماها"التضييع" التي فرضت على أصحاب الضياع منها ضيعة" زيتون" وهو أحد علماء المالكية، حيث بلغ مقدارها ستون مثقال، فنعته علماء المالكية في كتب طبقاتهم بالجور ووقفوا موقف العداء والمعارضة[3].

أما العلماء الذين صبروا وجاهدوا واختاروا مواجهة الشيعة والموت على الهرب، فمنهم عدد كبير استشهدوا على يد عبيد الله وبنيه[4]، وفي هذا يقول أبو الحسن القابسي:" إن الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب مابين عابد وعالم ورجل صالح"[5] .

مالا يجب إغفاله أن بعض أهل السنة قد اختاروا اعتناق المذهب الشيعي كموقف اتجاه التشيع وهو ما عُرِف في المصادر التاريخية بالتشريق، بحيث نجد عند القاضي النعمان إشارة إلى هذه الكلمة إذ أن أبا عبد الله سمي بالمشرقي لقدومه من المشرق، ونسب إليه كل من دخل في دعوته وبايعه، وسمو بالمشارقة وإذا دخل أحدهم في ذلك قيل تشرّق"[5].

---

[1] الهنتاتي(نجم الدين) ،« الصراع المذهبي بالقيروان»، ص 188.

[2] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي، ص171.

[3] بوبة مجاني، الإسماعيليون في المغرب العربي ،ط1، دار رؤية، القاهرة، 2014،ص 142.

[4] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص316.

[5] الدباغ، المصدر السابق،ج3،ص35

[6]القاضي النعمان، المصدر السابق، ص 79.

وحسب عمر حمادي فإن مصادر السنة كابن عذارى وابن الأثير وابن العرب قد أخذوا عن القاضي النعمان هذه الكلمة " التشريق"[1]، إلا أن المصدر " طبقات علماء إفريقية"لأبي العرب يمدنا بأسماء العديد من العلماء المغاربة تشرقوا لأغراض متعددة فنجد محمد بن حيان والقمودي وعلي بن منصور الصفا،وابن كحالة قد تشرّقوا ،كما نجد من الأحناف من تشرّق بغرض الحصول على منصب مثل: قاسم بن الخلاد تشرّق ليتولى قضاء باجة[2] ،لنفس الغرض تشرّق إسحاق بن أبي المنهال إذ جعله عبيد الله المهدي قاضيا بصقلية[3]، وأحمد بن محمد بن شهرين قاضي برقة[4]،ولا ننسى زرارة بن أحمد الذي دخل في خدمة الفاطميين وعينوه قاضيا لمدينة المهدية[5] ،إذ أنه كان من أهل العلم والنظر وصحب المالكيين والحنفيين وتشرّق وأصبح من غلاة المذهب الشيعي[6].

في المقابل هناك من تشرّق لرؤيته ضرورة طاعة الحاكم كأبو محمد بن شهرام الذي تولى كتابة محمد بن عمر المروذي ، وأبو ربدة بن خلاد[7] وابن غازي تشرّق لما دخل عبد الله بعد اجتهاد في العبادة دخل في دعوتهم الشيعية الإسماعيلية[8]،وفي هذا الصدد نجد القاضي عياض ذكر أنه لما ظهر بنو عبيد« تشرق من الحنفيين قوم تقمنا لمسراتهم واصطياد لدنياهم، وأخرجوا أضغانهم على المدنيين، فجرت على المالكية في تلك المدة محن لكن مع ذلك فإن كثيرا من العامة يقتدي بهم»[9]،وأتباعا للدنيا تشرّق أبو بكر سليمان

---

[1] بن حمادي (عمر) ،" حول النعت الداخليين في الدعوة الفاطمية بالمشارقة" ،مجلة حوليات الجامعة التونسية، (د م)، العدد،39، 1995، ص 282.

[2] أبو العرب، المصدر السابق، ص224.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص461.

[4] أبو العرب، المصدر السابق، ص224.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص311.

[6] أبو العرب، المصدر السابق، ص، 226.

[7] نفسه، ص224

[8] القاضي عياض، المصدر السابق،ج4، ص 375.

[9] نفسه،ج1، ص26.

ليحصل على المال والمنصب نظرا لشدة فقره تحول إلى المذهب الشيعي ليحصل على منصب موثق وكان له ذلك مع الكثير من المال"[1].

ونقف على موقف آخر اتخذه أهل السنة ضد التشيع ألا وهو المناظرات التي تعد شكلا من أشكال المعارضة، بحيث تعقد بين الفقهاء والدعاة الشيعية وتدور موضوعاتها حول تفضيل علي على أبو بكر وغيرها، إذ أن المهدي كان يأمل أن ينشر التشيع عن طريق المناظرة والحجة، بينما عبّر من خلالها علماء السنة عن موقفهم المعادي والمعارض [2].

بمرور الأيام ظهرت بجلاء نوايا الشيعة وأعمالهم الأمر الذي جعلهم يواجهون معارضة شديدة من قبل الفقهاء السنيين الذين يؤطرون العامة لتأجيج الحقد نحو الفاطميين، ويبدوا أن تمسك فقهاء السنة بمذهبهم هو ما حال دون إختفاء أثرهم إذ نجد السواد الأعظم منهم تصدوا لمقاومة العقيدة الإسماعيلية، بغض النظر عن القلة القليلة الذين تحولوا من مذهب السنة إلى المذهب الشيعي، وإن كانت مواقفهم سلبية واتسمت بالطابع السلمي إلا أنها اتخذت أشكالا متعددة تعبر كلها عن رفض التشيع والتشبث الشديد بالمذهب السني.

إن المقاومة العملية ضد الشيعة تمثلت في ثورة مخلد بن كيداد المكنى بأبي يزيد (332-336هـ/943-947م) التي انضم إليها عدد من السنة (مالكية وأحناف) ودعموها بالمال والجند والعتاد، ولاشك أن مشاركة الأحناف فيها تدل على عدم تشرّقهم كلهم[3]

[1] أبو العرب، المصدر السابق، ص226.

[2] محمود إسماعيل ، مغريات، مطبعة فضالة،المغرب،1977، ص74، أنظر بوبة مجاني ، مصدر سابق ،ص 142-143.

[3] الهنتاتي (نجم الدين)،« الصراع المذهبي بالقيروان »،ص 189,188، لمعرفة المزيد عن ابي يزيد الخارجي ،انظر ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص 52 وما بعدها .

خاض فقهاء المالكية مشاورات فيما بينهم قبل خروجهم مع الثورة، إذ أن أبي يزيد كان له موقف النصير والمتحمس للمالكية الذين استضعفهم عبيد الله[1].

لم يكن دور العلماء مقتصر على التحريض على عصيان الفاطميين وإنما الانخراط في قتالهم فبعد أن أصدر أغلبهم فتوى بفريضة قتال بني عبيد[2]، نجد أبا الفضل الممسي[3]قد ميز بين الخوارج وبين عبيد لقوله:" الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم السلام ويرثون ويورثون وبنو عبيد ليسو كذلك لأنهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين"[4].

ويذكر صاحب رياض النفوس أن أحمد بن أبي الوليد قام وخطب في الناس وحرضهم على الجهاد وأعلمهم بما فيه من ثواب وقال" يأيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله...."[5] ودعا على عبيد الله ولعنه لقوله" اللهم إن هذا القر مطي الكافر الصنعاني..... المدعى الربوبية..... وسابا لأصحاب نبيك وأزواجه..... سافكا لدماء أمته... اللهم العنه لعنا وبيلا وأخزه خزيا طويلا..."[6] ،هذه الخطبة حمّست الناس وجعلتهم يخرجون لقتال الشيعة[7].

بعد الخطبة في اليوم التالي خرج الجميع للحرب وانضموا إلى أبي يزيد سنة 333هـ/944م، وتحالف أهل السنة مع الخوارج، وحرروا عدة مدن إفريقية، لكن أبا يزيد

---

[1] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص199.

[2] الطاهر المنصوري،" علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي؛ضمن كتاب: الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط ،لمجموعة باحثين ، تنسيق: حسين حافظي علوي، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،2008، ص 53

[3] هو أبو الفضل ابن عيسى الممسي، حفظ القرآن وعمره 8 سنوات، وحفظ الموطأ وعمره 15سنة، كان من أهل الفقه، شديد الورع، توفي سنة333ه، الدباغ ، المصدر السابق،ج3، ص 27.

[4] نفسه ، ص29، لمعرفة المزيد ،أنظر المالكي ، المصدر السابق ، ج2، ص 338-339.

[5] نفسه ، ص33.

[6] المالكي ، المصدر السابق،ج2، ص 343.

[7] عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق، ص200

أراد المكر بأهل السنة فتخلى عنهم أثناء المعركة ليفتك بهم الشيعة وفعلا تمت الخديعة وقتل من شيوخهم أربعة آلاف مابين عابد وعالم صالح[1]

لعل ما أبداه بعض فقهاء المالكية من صرامة في مواجهة التشيع هو ما جعل الدباغ يشيد بمشيخة القيروان قائلا:" وجزى الله مشيخة القيروان خيرا هذا يموت وهذا يضرب وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة رحمهم الله..."[2].

3- مواقف الشيعة من أهل السنة

إن من أبرز سمات الحكم الفاطميين القتل والتعذيب ومقاومة كل ما هو سني [3] ويذكر ابن عذارى أن أبا عبد الله دخل الأربس بالسيف فلجا أهلها وبعض العساكر إلى جامعها فقتلهم الشيعي جمعا"حتى كانت الدماء تسيل من أبواب المسجد كما يسيل الماء من وابل الغيث"[4]

ولأن الدولة الفاطمية الإسماعيلية في إفريقية وما يليها من بلاد، فإن التشيع تمركز في إفريقية بشكل كبير بحيث فرضت بالقوة مبادئها إستعمال كل وسائل الضغط من تقتيل والتعسف وغير ذلك[5]، لذا وقفوا ضد كل نشاط مذهبي، وحدوا من حرية الفكر التي سمح بها الأغالبة بإفريقية، فيجب أن لا يكون في الساحة المذهبية الفكرية إلا مذهبهم وأفكارهم، فذابت أفكار المغاربة ضمن المذهب الجديد باستثناء البعض منهم أصحاب مالك الذين

[1] محمود إسماعيل، مغربيات ، ص80

[2] الدباغ ، المصدر السابق، ج2، ص292.

[3] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص309

[4] ابن عذارى، المصدر السابق،ج1، ص147,146.

[5] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص304.

كانوا يمثلون الأغلبية الساحقة المعارضة ، وقد أدرك الفاطميون أن هؤلاء هم الخطر الحقيقي المحدق بدولتهم ومذهبهم[1].

لقد سعى حكام الشيعة الفاطميين إلى تحويل أهل إفريقية، لاسيما القيروان إلى مذهبهم وذلك باستعمال عدة وسائل منها: الإقناع عن طريق عقد مجالس للمناظرات ،ومن ذلك سعيد بن الحداد (زعيم السنة) المتمرس في المناظرة قد أفحم الشيعة في الرد عليهم،لذا استعمل أبو العباس الصنعاني(أخو أبو عبد الله الشيعي) ثم عبيد الله المهدي القوة، فكان أتباع الحداد أول ضحايا هذا الصراع المذهبي كأبي بكر بن هذيل وإبراهيم الضبي،قتلا سنة297هـ /910م [2]

وتولى مهمة تعذيب العلماء المناهضين للشيعة الفاطمية وتقتيلهم محمد بن عمر المروذي[3]،الذي لما تولى القضاء تجبر وتكبر وتطاول على العلماء والرجال الصالحين بحبسهم وضربهم[4]،ومن ذلك سعيه إلى عبيد الله المهدي الذي أمر بتعذيب و قتل الفقيه الصالح جعفر المعافري، وكانت أيامه صعبة جدا على أهل السنة إذا أن أبا العباس (أخ أبوعبد الله الشيعي):« أطلق يد المروذي وقوى أمره»، إضافة لذلك قام أبو العباس بضرب الفقهاء العلماء منهم أبا القاسم الطوسي قاضي صقلية وقاضي طرابلس والمحتسب بالقيروان[5]،لكن خاتمة المروذي كانت على يد سيده المهدي بعد أن توالت الشكوى ضده لتماديه في التنكيل بالعلماء فقام المهدي بعزله وتعذيبه ثم قتله"[6].

---

[1] عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق، ص، 205.

[2] الهنتاتي،«الصراع المذهبي بالقيروان»، ص 187.

[3] هو محمد بن عمر المروذي ، كان شيعيا من اهل القيروان ، تولى القضاء ، فتطاول على رجال صالحين بضربهم وحبسهم وكانت نهايته على يد عبيد الله بعد أن عزله وعذبه ثم قتله، الخشني ، المصدر السابق ، ص 309، أنظر كذلك الدباغ ،ج2، المصدر السابق ، ص 291-292.

[4] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 317.

[5] الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص 189-291، انظر للمزيد ، نفس المصدر ، ج3، ص 10-11.

[6] إبراهيم التهامي، المرجع السابق،ص25.

لقد مرت المدرسة المالكية بمرحلة صعبة في عهد الفاطميين الذين منعوا الفقهاء من الإفتاء بمذهب مالك وأمرتهم ألا يفتوا إلا بمذهبهم الإسماعيلي الذي يسمونه مذهب أهل البيت، فيما تم منعهم من التحليق والفتيا إلا أن الفقهاء واصلوا أداء رسالتهم، لكن بشكل سري مع الحذر والترقب[1] ،ومن ذلك ابن اللباد (ت 333هـ/944م) تعرض «لمحنة من قبل أشياع بني عبيد وسُجن أياما ثم أُطلق ومُنع الفتوى والاستماع واجتماع الطلبة عليه حتى توفي»،إلا أنه لم يتوقف عن أداء رسالته التعليمية إلى أن مات إذ كان« محمد بن أبي زيد وأبو محمد بن التبان يأتيان إليه خفية وربما جعلا الكتب في أوساطهما وحجزتهما حتى تبتل بأعراقهما خوفا من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه»[2] .

وممن علّموا سراَ، محمد بن الفتح المرجي[3]كان ممن عزم الخروج لمواجهة الفاطميين لكنه لم يستطيع لكبر سنه، إلا أنه «كان يخرج إلى مقبرة باب سلم فيستتر بحائط يقرأ عل أصحابه هناك للخوف من بني عبيد لأنهم منعوا من بث العلم وسجنوا العلماء في دورهم»[4].

وممن امتحنوا على يد بني عبيد كثيرون نذكر:الزاهد الشذوني (ت 309هـ/920م) لما فضل بعض الصحابة على علي كرم الله وجهه أمر عبيد الله بقتله، وأبو القاسم الطرزي (ت 317هـ/928م) ضرب بالسياط أمام الجامع بُغضا وعداوة للعلماء السنة ، أما الإمام إبراهيم بن عبد الله الزيري (ت359هـ/970م) المعروف بالقلانسي جرى

[1] محمد مختار محمد المامي،المرجع السابق، ص108,107.

[2] الدباغ، المرجع السابق، ج3، ص25.

[3] محمد بن الفتح المرجي، كان من أهل العلم والفضل والعبادة والفقر، وكان ممن واصل أداء رسالته في التعليم سراً، نفسه، ص38.

[4] نفسه ، ص39.

ضربه على يد أبي القاسم بن عبيد الله المهدي 700 سوط وحبسه أربعة أشهر لتأليفه كتاب " الرد على الرافضة"[1].

والجدير بالذكر ان اضطهاد الفاطميين الشيعية لأهل السنة المالكية كان بطريقة ذكية إذ أنهم لم يتعرضوا لأشهر علماء المالكية بل كان اضطهادهم لمن كان أقل شهرة مثل : عروس المؤمنين[2]ولأن إسقاط عبارة " حي على خير العمل"تعد بمثابة جرم عقوبته شديدة فإن المؤذن عروس الرجل الزاهد لما أسقط هذه العبارة وشهد عليه بعض الشيعة قطع لسانه ووضع بين عينيه وطيف به بالقيروان ثم قتل سنة 317هـ/928م[3].

ودفع للضرر والمفسد أذن بعض السنة للمؤذنين بزيادة عبارة "حي على خير العمل" ومن هؤلاء العلماء أبو الحسن على العبيد الدباغ(ت359هـ/970م) وهو من أهل العبادة والورع تفطن لغرض العبيديين[4].

ومن المواقف التي تستفز أهل السنة في نظري قيام أهل الشيعة والفاطمية بتعليق رؤوس الكباش والحمير على أبواب الحوانيت وكتب عليها أسماء يقصدون الصحابة رضي الله عنهم[5].

لاشك أن مثل هذه المواقف الصارمة للشيعة الفاطمية هو ما جعل فتوى المالكية تقضي بتكفيرهم واعتبارهم مشركين لابد من جهادهم، ويدعم هذا الطرح ابن عذارى بقوله:" هم قوم من الرافضة، يدّعون النسب إلى علي وأكثر اعتقادهم كفر"[6]،وبهذه المواقف أفصحوا عن نواياهم الخفية وحقيقة دينهم ،وعلى حد تعبير محمود إسماعيل إن

---

[1] إبراهيم التهامي، المرجع السابق،ص320,319.

[2] الهنتاتي(نجم الدين)،«الصراع المذهبي بالقيروان»، ص188.

[3] الدباغ ، المصدر السابق، ج3،ص 5

[4] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص 309.

[5] المالكي، المصدر السابق، ج2، ص338.

[6] ابن ،عذارى ،المصدر السابق،ج1، ص286.

الإسماعيلية قد انفردوا بالحنكة والمقدرة عندما تحول معظم عملهم السياسي الشيعي إلى أسلوب سري منظم[1]،لذلك قال ابن عذارى" العبيديون يظهرون الدين والخير حتى يتمكنوا"[2]،إلا أنه لم يفلح الشيعة رغم جهودهم في نشر مذهبهم لأن فقهاء المالكية تزعموا حركة مقاومة المذهب الشيعي ونجحوا في تحويل مشاعر الناس إلى عداءٍ للشيعي ودعوته.[3]

إن كل حيل وأعمال الفاطميين التي قاموا بها فشلت بفضل صمود أتباع مالك ومقاومتهم السلبية ، فقد وقفوا في وجه الشيعة الإسماعيلة منذ أول يوم وشكلوا خطرًا كبيراً على مذهبهم ودولتهم الشيعية، فقاوموهم بكل الوسائل ومقاومتهم تكللت بالنجاح بعد جهد جهيد.

ثانيا: سيادة المذاهب السني في العهد الزيري:

1- دور السلطة الزيرية في ترسيم المذهب السني:

رحل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة 361هـ/972م بمعية جميع رجال دولته وأهله، بعد أن سبقه إليها قائده جوهر فاستولى عليها لتكون قاعدة رسمية للدولة الفاطمية، وبعد أن فشل في كسب أهل المغرب الناقمين عليه ودعوته الاسماعيلية وسياسته[4] ،أو كل مصير دولته بالمغرب إلى الزعيم الصنهاجي بلكين بن زيري نظرا لما وجد فيه من خصال وحنكة تؤهله لخلافته في إفريقية، فعرض عليه خلافة المغرب 361ه

[1] محمود إسماعيل ، فرق الشيعة،ط1، المغرب، دار سينا للنشر،1995، ص 56.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق،ج1، ص 286.

[3] محمود إسماعيل، الأغالبة وسياستهم الخارجية، ص203.

[4] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق،ص212.

/972م[1]بشروط هي : بقاء تبعيته للفاطميين والحكم بإسمهم بالإضافة إلى المحافظة على المذهب الشيعي مذهبا رسميا دولة، ووافق بلكين بن زيري على ذلك ، مما يدل على عدم تنازل الفاطميين عن تبعية وولاء بني زيري التام نحوهم ولمذهبهم الشيعي الإسماعيلي [2].

والجدير بالذكر أن رحيل المعز لدين الله الفاطمي زاد إتباع المالكية ثباتا في الميدان مع العلم أن موقفهم من الزيريين بصفتهم أتباع الفاطميين هو الموقف نفسه الذي كان اتجاه أسيادهم فقد اعتبروهم مارقين ، وفي هذا الصدد قال بلكين زيري للمعز لما عرض عليه خلافة المغرب" يا مولانا أنت وأبوك أئمة من أولاد الرسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفوا لي...." وفعلا واصل أهل افريقية معارضتهم للنظام الفاطمي الذي تبناه بنو زيري وسار عليه وللدعوة الشيعية والتعاليم الاسماعلية التي حرصوا على حفظها ونشرها [3]وبذلك يكون المذهب الشيعي الاسماعيلي هو المذهب الرسمي للدولة الزيرية[4]، وبدليل أن الدنانير العبيدية التي في نصوصها إشارة إلى المعتقد الشيعي تمثل مظهر من مظاهر تبعية بنو زيري المذهبية لمصر وبحكم هذه التبعية فإن هذه الدنانير استمرت طول حكم الأمراء بلكين ومنصور، باديس وكذلك شطرا من حكم المعز[5].

من جانب آخر فإن الزيريين حاولوا الاستقلال عن الفاطميين وبصورة ظاهرة أيام أبي الفتح المنصور بن زيري لكن الداعي الشيعي تصدى له بإرسال " أبا الفهم لإثارة كتامة على أبي الفتح المنصور.

---

[1] فرحات الدشراوي ، المرجع السابق، ص404.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص155,154.

[3] عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق،ص 221.

[4] رشيد السلامي،" حول حسم الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة بإفريقية في عهد المعز بن باديس الزيري"، ضمن الكتاب : الصراع المذهبي ببلاد المغرب العصر الوسيط، لمجموعة من الباحثين ، تنسيق: حسن الحافظي علوي،ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 2008، ص71.

[5] طارق بن زاوي ، المرجع السابق، ص154,153.

فمنذ فترة مبكرة تبين لنا وجود تفاعل بين العائلة الزيرية والاتجاه السني ولاسيما المذهب المالكي الذي تمكن من القيام تدريجيا بدور طلائعي في مختلف المجالات، رغم احتفاظ بني زيري بالمذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبا رسميا، ففي سنة 365هـ/976 م شيّع بلكين بن زيري هدية للخليفة العزيز بالله، فخرج إليه أهل القيروان" فتلقاهم بأحسن قبول"،رغم أن هذا الأمير قد أظهر الطاعة مجاملة للفاطميين[1]، وفي سياق إظهار الطاعة للفاطميين إنه إثر رحيل المعز الدين إلى مصر قدِم إليه بلكين بن زيري "بألفي جمل من إبل زناتة يحمل ماله بالقصور من الذخائر" [2].

رغم ذلك إلا أنه حاول التوفيق بين المذهبين المالكي والشيعي بدليل : حضوره للصلاة على جنازة أبو سعيد خلف بن عمر أحد علماء المالكية، بمعية جميع أهل المذهبين من الموافق والمخالف[3]، ولما أظهر بلكين بن زيري ما يشبه الملاينة- وإن لم تكن جدية- لأنه رجل سياسة يعرف كيف يلبس كل أمر لباسه حتى تستقيم له الأمور، فقد استغل المالكية هذه الملاينة لصالحهم[4] .

وتوطدت العلاقة بين الزيرين وأهل السنة في عهد المنصور بن بلكين (386-373هـ/984-996م)، إذ أنه في بدء عهده ظهر ميله وعطفه على الرعية حيث« قدم عشرة آلاف دينار ضيافة لفائدة الوافدين إليه من شيوخ القيروان وغيرهم» وصرح لهم عن إستقلاله عن الفاطميين بقوله:" إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهراً وأنا لا أخذهم إلا بالإحسان .... وأنا في هذا الملك لأني ورثته عن أبائي وأجدادي وورثوه عن أبائهم

[1] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي، ص 171.

[2] فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص404.

[3] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي،ص 172.

[4] عبد العزيز المجدوب،المرجع السابق، ص222

وأجدادهم حمير"، وبهذا أظهر منصور الزيري الخير لأهل القيروان ووعدهم بكل الجميل [1] ،ويكون الأمراء الزيريين قد أبدوا عناية بالناس بما في ذلك الفقهاء.

بما أن علماء السنة من الرعية ونظراً لمكانتهم وقوتهم فإن بني زيري يعتمدون عليهم، لإضفاء الشرعية على حكمهم وتحقيق طموحهم في الانفصال عن الفاطميين[2] ،وبغض النظر عن طموحات الزيريين السياسية فإن المهم على الصعيد المذهبي أن يحدث تحول عقدي من المعتقد الفاطمي الإسماعيلي إلى المعتقد السني، وما من ريب أن فقهاء السنة قد كانوا تواقين لهذا التحول الذي صمدوا من أجله طويلا، رغم ما سبق عرضه فإن ما يلفت انتباه الحضور الشيعي داخل المؤسسات الزيرية بالأخص في جهاز القضاء والجباية[3] .

ربما يدل هذا وبجلاء عن تمسك الزيريين وطموحهم في الانفصال عن الفاطميين من خلال رعايتهم للرعية والفقهاء، وفي نفس الوقت إبقائهم للحضور الشيعي بأجهزة دولتهم ربما لعدم استكمال قوتهم لإنهاء كل ماله علاقة بالفاطميين بما في ذلك المذهب الشيعي وتبني المذهب السني .

لقد اعتبرت بعض المصادر التاريخية فترة المعز بن باديس(406هـ-454هـ/1016-1062م) هي فترة الحسم المذهبي لصالح المذهب الملكي وانتصاره النهائي ببلاد المغرب بحيث صورته لنا أنه هو البطل الذي وراء هذا بينما بعض التراجم والطبقات جعلت الفقهاء في قلب التحولات المذهبية بفضل مشاركتهم كقوة فعالة إلى جانب المعز في القضاء على التشيع[4].

[1] ابن عذرى، المصدر السابق،ج1 ص240.

[2] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي، ص172

[3] رشيد السلامي ، المرجع السابق، ص66.

[4] نفسه . ص66.

إذ أن المعز قد تربي في حجر وزيره ابن أبي الرجال على المذهب السني، ويؤكد ابن عذارى ذلك في قوله:" حرض ابن أبي الحسن بن أبي الرجال المعز بن باديس وأدبه ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة والشيعة لا يعلمون"[1]

وفي هذا الصدد ذكر الهنتاتي أن المعز أهدى لأبي بكر عتيق السوسي (430هـ/1038م) أمهات الفقه المالكي كالمدونة والموازية ....الخ فهذا حسب رأيه اعتراف من المصادر السنية على وجود نزعة سنية عند المعز[2].

وهذا الطرح نجد له سندا عند المؤرخين من بينهم ابن خلدون إذ يقول " كان المعز منحرفا عن المذاهب الرافضة ومنتحلا للسنة ، فأعلن بمذهبه أول ولايته ولعن الرافضة"[3]

ومنه نقول أن المذهب السني (المالكي) سيطر وبصفة رسمي ونهائية بإفريقية بعد إعلان القطيعة مع الفاطميين سنة 440هـ/1048م حيث ترك المعز بن باديس المذهب الاسماعيلي الشيعي واتخذ المذهب المالكي (السني) مذهبا رسميا للدولة حيث أنه لأول مرة حدث انسجام بين المذهب المعمول به لدى العائلة المالكة بالبلاد والمذاهب المنتشرة بين أهلها[4]ويدعم ابن الأثير هذا في قوله " خطب المعز بن باديس للخليفة العباسي القائم بأمر الله وقطع الخطبة لبني عبيد سنة 440ه (الخليفة المستنصر) في مصر"[5] .

ومن ناحية أخرى ولأن علماء السنة كان لهم نفوذ قوي فقد حاولوا جر المعز للتحالف معهم ضد الشيعة الاسماعيلية ليشرف على عمليات التنكيل رغم صغره سنه وأعلن عن

---

[1] ابن عذاري. المصدر السابق1 ،ص 274-273.

[2] نجم الدين الهنتاتي. المذهب المالكي. المرجع السابق، ص175

[3] ابن خلدون. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت 808ه) .ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العربي والبربر ومن معاصرهم من ذوي الشأن الكبر و مراجعة : سهيل زكار،ج6، دار الفكر . لبنان. ص 211.

[4] الهنتاتي ،"الصراع المذهبي بالقيروان"، ص 175.

[5] ابن الأثير ، المصدر السابق، ج8،ص295

مذهبه السني ثم لعن الرافضة وبادر بقتل الشيعة[1] . ويؤكد ابن خلدون صغر سن المعز لقوله:" بويع المعز وهو ابن ثمان سنين"[2] .

والمهم أن المالكية اشتد ساعدهم واستجمعوا قوتهم في العهد الزيري إلى أن صاروا في عهد المعز بن باديس قوة اكتملت لها عدتها وقوي أمرها[3] . فبذلك تدعم المذهب السني وبلغ الذروة في عهد المعز بن باديس بالتالي تسبب في القطيعة بين الزيريين والفاطميين.

وهكذا فإن تبني الزيريين للمذهب السني هو استئصال للمذهب الشيعي بالمغرب الإسلامي وإرجاع الأمور لما كانت عليه ولنصابها.

2- حسم الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة في عهد المعز بن باديس:

أ/تصفية التواجد الشيعي بالمغرب الإسلامي في عهد المعز:

اعتبر علماء القيروان أمثال القاسي الفاطميين مرتدين لما أظهروا مخالفتهم للشريعة وزنادقة، كما أخفو التعطيل و أجمعوا على أنهم مرتدين زنادقة وأصدروا فتوى بكفر الشيعة واستحلال دمائهم [4] ، وبهذه الأحكام من الطبيعي أن يتأجج الحقد والكره في نفوس العامة ، فتوجهوا لتقتيل الشيعة في عهد المعز بن باديس، وفيما يلي: نذكر بعض المواجهات بين السنة والشيعة.

السنة	الحدث
406ه/1016	حدثت كبوة فرس المعز بن باديس فنادي مستغيثا باسم أبي بكر وعمر فسمعته العامة فثاروا على الشيعة وقتلوهم[5]بالقيروان، ووضع السيف في الشيعة وقتل حوالي 3000 وسمى ذلك المكان منذ ذلك الوقت بركة الدم[1] لكثير ما قتلوا حينها

[1] رشيد السلامي، المرجع السابق، ص68.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص 210

[3] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص222.

[4] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي، ص175.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص18.

407ه/1017م	ثورة العامة على قوم يتسترون بمذهب الشيعة بحومة تعرف بدرب المعلَى بالقيروان[2]فقتلوهم أقبح قتل وحرقوهم وانتبهوا أموالهم وهدّموا ديارهم [3]، ولجأ من بقي بالمهدية منهم إلى المسجد الجامع فقتلوا به عن آخرهم[4].
409ه/1019م	قتل من الشيعة حوالى200 فارس بعائلاتهم قرب المهدية[5]
423ه/1030	أرسل المعز عسكرا إلى بلد من أعمال نقطة فيه الكثير من الشيعة فقتلوهم أجمعين[6]

ب/ القطيعة المذهبية والسياسية في عهد المعز بن باديس:

ما يعزز التحول العقدي في العهد الزيري تلك القطيعة المذهبية والسياسية التي حدثت بين الزيريين في المغرب الإسلامي والفاطميين في مصر أو بالأحرى بين السنة والشيعة الإسماعيلية، وقبل الولوج في مجريات القطيعة، تجدر بنا الإشارة إلى ما يثبت وجود رغبة لدى فقهاء السنة في تحويل أهل المغرب عقديًا نحو المذهب السني، وحمايتهم من الإنحراف العقدي قبل حدوث القطيعة المذهبية، بدليل أن العالم ابن المنمر[7] أقر قيام الليل بطرابلس سنة 407ه/1017م وألغى الآذان الشيعي مع العلم أن صلاة التراويح (قيام الليل) ممنوعة عند الشيعة [8] ، بالإضافة إلى أنه أول من نادى بإبطال " حي على خير العمل" في الآذان وأذّن بنفسه آذان السنة وصلى بالناس صلاة التراويح وأمر الناس بصلاة الضحى، بحيث أن الشيعة الفاطميين يقتلون من صلاّها، ويعتبر أول من ثار على الشيعة

[1] ابن عذارى ، المصدر السابق،ج1،ص174.

[2] نفسه، ص268.

[3] الدباغ، المصدر السابق،ج3، ص 153.

[4] ابن عذارى ، المصدر السابق ،ج1،ص268

[5] نفسه، ص 269.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص205.

[7] هو علي بن محمد المنتصر بن المنمر الطرابلسي ، ولد بطرابلس سنة 384هـ رحل للمشرق لطلب العلم وعاد لبلده ليكون بارعا في الحديث وعارفا بالنحو والأصول ، وكان من المشهورين في علم الفرائض فهو عالم وفقيه وإمام توفي سنة 432هـ، محمد بن محمد مخلوف ،مرجع سابق ، ص 110.

[8] الهادي إدريس روجيه، المرجع السابق، ج2، ص 327.

في طرابلس وقتل منهم الكثير وأعاد ما كانوا أبطلوه من معالم الدين والسنة[1]، والأمثلة كابن المنمر كثيرة.

فقد كان علماء السنة يطمحون دائما إلى جعل بني زيري ينبذون التشيع لفائدة المذهب السني حتى يكون لهذا الأخير الشرعية السياسية[2]، وفعلا هذا سيتحقق وبشكل نهائي بعد القطيعة المذهبية ويستسيغ بنو زيري وأهل المغرب عموما هذا ويرحبون به .

أما القطيعة المذهبية والسياسية فإنها تمت بعد مراحل وخطوات في وسعنا أن ترتبها كالتالي:

اعتبر ابن عذارى سنة 433هـ/1041م مؤشراً على بداية المواجهة أو المقاطعة بين الزيريين والفاطميين لقوله:"وفي سنة 433ه، أظهر المعز الدولة العباسية ورد عليه عهد القائم بأمر الله"[3]، من الطبيعي ما اعتبره ابن عذارى بخصوص هذه السنة لأن الفاطميين لن يعجبهم تصرف المعز في إظهار الدعوة للعباسين لاسيما وأنه العدو اللدود لهم، أما بعض المصادر السنية جعلت هذه السنة بداية لسلسلة مواقف المعز ضد الشيعة[4].

وفي السنة 435هـ/1043: وحسب ابن الأثير فقد دعا المعز للخليفة العباسي وقطع الدعوة للمستنصر الفاطمي لقوله:«سنة435 أظهر المعز بن باديس ببلاد إفريقية الدعاء للدولة العباسية وخطب للإمام القائم بأمر الله ووردت عليه الخِلع والتقليد ببلاد إفريقية ووُليَ جميع المغرب، ومنذ ذلك الوقت قطعت الخطبة للعبيديين وأُحرقت أعلامهم»[5].

---

[1] طارق بن زاوي، المرجع السابق، ص127.

[2] الهنتاتي (نجم الدين)،« الصراع المذهبي بالقيروان»، ص 189.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص275

[4] رشيد السلامي، المرجع السابق، ص 74.

[5] ابن الأثير ، المصدر السابق، ج8، ص 256، 266.

أما عن البداية الفعلية للقطيعة المذهبية والسياسية كانت سنة 440هـ/ 1048، إذ تكاد أغلب المصادر السنية تجمع على أن هذه السنة حاسمة في علاقة المعز بالخلافة الفاطمية، إذ ستتلوها سلسلة من الإجراءات تعزز القطيعة النهائية[1]، ويعضد ابن عذارى هذا الطرح بقوله:"وفي سنة 440هـ، قُطعت الخطبة لصاحب مصر وأُحرقت بنوده...وأمر المعز بأن يُدعى على منابر إفريقية للعباس بن عبد المطلب ويقطع دعوة الشيعة العبيديين، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة، وللعباس ولبقية العشرة"،ويعطي ابن عذارى سببا لهذه القطيعة ألا وهو بقاء بني زيري يذكرون أسماء الخلفاء الفاطميين بعد رحيلهم على المنابر إلى أن سئم الناس دعوتهم وقطعوا صلاة الجمعة تبديعا لإقامتها بأسمائهم حتى أن بعضهم إذا وصل إلى المسجد يقول سرًا:" اللهم اشهد! اللهم اشهد!"،ثم ينصرف ويصلي في بيته ويقول ابن عذارى: "تعطلت الجمعة دهرا.... إلى أن رأى المعز قطع دعوتهم"[2]، وأخذ بتفكيرهم[3] .

فبعد أن أتم المعز إجراءات الانفصال السياسي عن الفاطميين وإعلانه الدخول تحت راية العباسيين ، فكان من الضروري استكمال الانفصال واتخاذ إجراء عملي لترسيخ القطيعة بإلغاء أسماء الفاطميين من السكة ونقش في الوجه الواحد: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾الآية58 سورة آل عمران، أما في الوجه الثاني: " لا إله إلا الله"[4]، كما نقش في دنانير أخرى إلى جانب الآية السابقة الآية:﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله﴾[5]سورة الأحزاب الآية 45-46،إن نقش هذه الآية يمثل اتجاها سنيا واضحا.

[1] رشيد السلامي، المرجع السابق، ص75.

[2] ابن عذارى المراكشي، المرجع السابق، ص277.

[3] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص224.

[4] طارق بن زاوي، المرجع السابق، ص155.

[5] رشيد السلامي ، المرجع السابق، ص78.

كما ورد على بعض هذه الدنانير عبارة " العزة" أو "ضرب في مدينة عز الإسلام القيروان"، وكتبت بالخط الكوفي البسيط الذي يرمز للاتجاه السُني، بينما استعمل الفاطميون الخط الكوفي المورق كرمز للمذهب الشيعي الإسماعيلي"[1]،وتكملة للقطيعة انتشر في سنة 442هـ/1050م لباس السواد بالقيروان واستمر وتواصل الدعاء لبني العباس[2].

على كُلٍ إن دنانير هذه الفترة وجميع الإجراءات السابقة ترمز دون شك إلى الاستقلال السياسي والمذهبي للزيريين وأهل المغرب كافة عن الفاطميين في مصر وعن دعوتهم الشيعية والتعاليم الإسماعيلية، وفي نفس الوقت هي تمثل إجراءات تعكس التحول العقدي لأهل المغرب وتوجههم وأميرهم المعز بن باديس السُني الصريح.

وتجدر الإشارة إلى أن المعز صرح بلعن الفاطميين في الخطب،ومن ذلك أنه في عيد الأضحى أمر الخطيب بأن يسب بني عبيد، فقال:" اللهم إلعن الفسقة الكفار المارقين الفجار أعداء الدين، أنصار الشيطان... اللهم إن سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن منصور القائم لدينك، والناصر لسنة نبيك ومصدقا لكتابك..."[3]

3- إنتصار المذهب السني:

إثر رحيل الفاطميين إلى مصر انتعش الحضور السياسي المالكي في ظل خلفائهم الزيريين الذين لم يستطيعوا الاستمرار في معارضة المالكية نظرا لما تمتع بهذه أتباع هذه الأخيرة من سلطة روحية كبيرة في الأوساط الشعبية خاصة لما اشتد ساعدها سياسيا في البلاط الزيري من طرف علي بن أبي الرجال الذي ساهم في التأثير على التوجهات السياسية

[1] رشيد السلامي،المرجع السابق،ص78.

[2] ابن عذارى ،المصدر السابق، ص280.

[3] نفسه ، ص278.

للدولة الزيرية حيث أعلنت القطيعة مع الفاطميين سنة 440هـ/1048م واتخذت المذهب السني المالكي مذهبا رسميا للدولة[1].

ومن المظاهر التي تعبر عن تعاظم نفوذ أتباع المذهب السني (المالكي)، أنه لما حاول الفاطميون إعادة أهل إفريقية لمذهبهم الإسماعيلي بإرسال دعاة يدعون الناس فلم يلقوا أي إجابة بل إن أحد الدعاة قُتل من طرف أهل القيروان، إضافة إلى انحصار القضاء بالقيروان في إطار عائلة بني هاشم (عائلة مالكية) في فترة مابين337هـ-435هـ /948م-1043م، وهؤلاء القضاة لهم صلة قوية مع علماء المالكية حيث أن عبد الله بن هاشم طلب مشورة ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)في استكتاب أبي الأزهر بن الحسين الأزدي[2].

والجدير بالذكر أن الزيريين لقوا في بادئ أمرهم تحديا من طرف المالكية ذلك أن أتباع هذه الأخيرة أظهروا تحديهم بأن فرضوا ما أبطل الفاطميون من سنن متعلقة بالصلوات والآذان والصيام ، كما جاهروا بالتعليم السُني على مذهب مالك[3]،فقد أُفسِح المجال لتدريس الفقه المالكي في الأماكن العمومية مما أرجع الحياة للدراسات المالكية (السنة) وأزدهر التأليف في الفقه المالكي وصارت القيروان مركز إشعاع لتدريس فقه المالكي، بفضل نبوغ فقهاءها أمثال: ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ/966م)، وأبو عمران الفاسي(الذين ساهموا في إحياء المدرسة السنية وتحقيق الإنتصار النهائي المذهب المالكي [4] .

[1] لخضر بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي،ط5، دار الصديق ، الجزائر،2015 ،ص88,87.

[2] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي، ص172.

[3] عبد العزيز المجدوب ، المرجع السابق، ص223.

[4] نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي، ص174.

ويعضد هذا القول ما ذهب إليه المقدسي بقوله:" لم أرى السواد الأعظم إلا من أربع أصحاب أبي حنيفة في المشرق وأصحاب مالك في المغرب..."[1]،وما يلفت الانتباه أن شدة وقوة علماء السنة في مقاومة أهل البدع مكنت المذهب السني بالمغرب وسمحت له بالانتشار،وأن يضل هو المذهب السائد دون منافسة من غيره إلى يومنا هذا[2]، رغم قوة وتعدد وسائل الفاطميين المستعملة إلا أنهم لم ينجحوا في كسب عقول الناس وعواطفهم نحو التعاليم الشيعية، إذ يترجم بروفنسال هذه الحقيقة بقوله:" منذ القرن9م انتهى الأمر بالمغرب الإسلامي كله إلى إيثار مذهب مالك بن أنس بعد محاولات قام بها الفاطميون وأصحاب القوة والنفوذ السياسي لبث الدعوة الشيعية"[3] .

لكن هل تم هذا الانتصار بإعانة المعز وموافقته النابعة من صميم إرادته أم كان ذلك تحت ضغط مارسه الفقهاء على المعز؟ يبدو أن المعز قد كان مشجعا للفقهاء على القيام بهذا، ذلك أنه تنكر كليا للفاطميين في القاهرة، وهذا الطرح نجد له سندا في شهادة المؤرخ ابن الأثير إذ يقول:"وقطعت الخطبة للعبيديين وأحرقت أعلامهم"[4]، وهذا بعدما خطط لتحقيق طموح سياسي راوده منذ أمد بعيد ألا وهو الاستقلال عن الفاطميين، مع ذلك وإن كانت أهداف المعز ابن باديس وتطلعاته السياسية بحتة،فإن من الدوافع التي جعلته يتنكر للفاطميين الشيعة وينكل بهم هو الميل إلى السنة الإسلامية القويمة واستهجانه لتعاليم الإسماعيلية المنافية للدين[5]،ودليل ذلك ما نقرأه في كتاب العبر لابن خلدون يذكر فيه:« كانت أذن المعز صاغية إلى مذاهب أهل السنة»[6]، وإن كان هذا لا ينفي- في الآن

---

[1] المقديسي، المصدر السابق، ص63.

[2] إبراهيم التهامي، المرجع السابق، ص287.

[3] عبد الحليم عويس ،دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ، ط2، دار الصحوة ، دار الوفاء مصر، 1991، ص256

[4] ابن الأثير، المصدر السابق،ج8، ص266

[5] عبد العزيز المجدوب ،المرجع السابق ، ص223.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ، ص18.

نفسه الرواية المغربية– التي تقول أنه اضطر تحت ضغط الفقهاء بحيث ربطت هذه المصادر حدث القطيعة برفض أهل إفريقية لدعوة الشيعية وتصاعد حدة ثوراتهم، فما كان من المعز إلا مسايرة العامة والعلماء والفقهاء في موقفهم، فجَاراهُم في مطالبتهم إياه وإلحاحهم عليه بقطع الدعوة الفاطمية، فانصاع لتلك الضغوط والنداءات[1].

وعلى ما أبداه الزيريون من تمسك واضح بولائهم لأسيادهم في مصر، فإنهم وأمام القوة المالكية وشعبيتها، أضحوا مع مرور الأيام إلى مسايرة الفقهاء والعامة أي الاحتكام إلى مبدأ" الإذعان إلى صاحب الشوكة المتغلب"، ولعل ما يبرز بجلاء دور الفقهاء في حمل المعز على إعلان القطيعة النهائية مع الفاطميين في القاهرة ما أورده الدباغ، فقد دس الأمير المعز ذات يوم شخص ألقي على الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن السؤال التالي:" ما يقول الفقيه في الطرز التي فيها أسماء بني عبيد مثل : الظاهر والحاكم وغيرها مما تلبس، أيُصلى فيها؟، " فأجاب الشيخ أبو بكر: " هذا السؤال أحمق أخرق قليل من المعرفة"، وكتب الشيخ أبو عمران الفاسي جوابا عن هذا السؤال: "إنما يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك"، فشق على السلطان جواب أبي بكر، فأرسل إليه وإلى الشيخ أبي عمران، فقال لأبي بكر:"لِما أجبت بهذا؟"، فقال: لأن السكة تضرب بأسمائهم وبنودهم تخفق على رأسك"، فقال السلطان:" ما أبقيت السكة والبنود إلا مداراة لأجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين"، ثم قال السلطان:"ألم أقتل المشارقة،ألم أفعل كذا "، فقال الشيخ:"فعلت وبقي أن تأذن لي أن أتكلم"، فقال السلطان:"لا"، ثم عطف عليه الشيخ أبو عمران فقال : "لم لا تكتب بمنع ذلك" [2]،إن في فتوى الفقه أبو بكر عبد الرحمن

[1] رشيد السلامي، المرجع السابق، ص76.

[2] الدباغ، المصدر السابق،ج3، ص167.

الخولاني[1] وأبو عمران الفاسي دعوة صريحة للقطيعة مع الفاطميين والتحول إلى العقيدة السُنية السليمة.

ويؤكد هذا الهنتاتي، إذ اعتبر أن ابن خلكان وابن الأثير بالغوا لما جعلوا للمعز دورا في هذا التحول العقدي فإن كتب طبقات علماء إفريقية أكدت بوضوح الدور المهم لعلماء القيروان وفقهاءها في ذلك التحول، بحيث ضغطوا على المعز بن باديس لاتخاذ هذا الإجراء، فهم قاموا برعاية هذا المذهب (السني) طيلة قرون، كما حملوا على كاهلهم حماية أهل القيروان من الانحرافات العقائدية والمذاهب الزائغة[2].

مع هذا كله المهم أن الإنتصار النهائي والحسم في مادة الخلاف المذهبي كان لصالح المذهب والعقيدة السنية، بعد مضي عقود رجعت الأمور إلى نصابها،وفي هذا الصدد أورد عبد العزيز المجدوب مقولة للدباغ"...وبعد ذلك هجم أهل القيروان على هؤلاء الأشرار بعدما تولي المعز بن باديس (كذا) فقتلوهم عن أخرهم وطهر الله القيروان من رجسهم والحمد الله رب العالمين" [3].

انتهى الخلاف والصراع المذهبي المرير بالمغرب الإسلامي بين الشيعة والسنة بشكل نهائي بتحول عقدي نحو الطريق السليم في ظل المذهب السني، ما يعني للفقهاء السنة نهاية المآسي والتعذيب والتنكيل وفي نفس الوقت بقاء واستمرارية مذهبهم وعقيدتهم الصحيحة .

[1] هو أحفظ أهل عصره ،مجتهد في العبادة وقيام اليل والصيام، وكان يصحب العلماء في القيروان، وهو أول العباد المجتهدين والفقهاء، الدباغ المصدر السابق، ج3، ص166.

[2] الهنتاتي(نجم الدين)، «الصراع المذهبي بالقيروان»، ص 178

[3] عبد العزيز المجدوب، المرجع السابق، ص223.

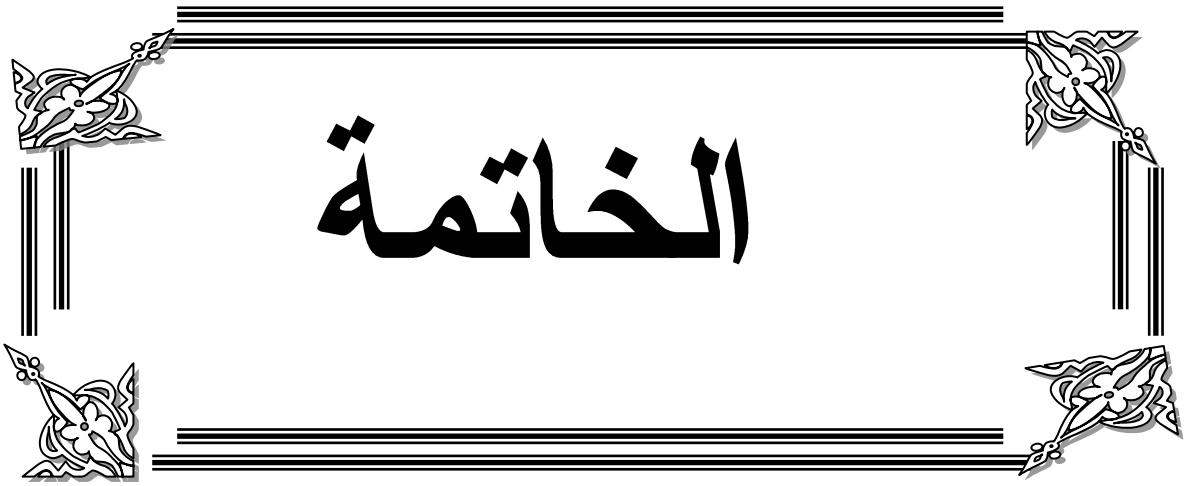
الخاتمة

لا يسعنا في ختام هذه الدراسة المتواضعة التي تطلعنا من خلالها إلى رسم صورة عن التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي إلى استنتاج مايلي:

- أن للمشرق الإسلامي (الخلافة العباسية) تأثير على الصراع المذهبي بالمغرب إذ أنه شمل نوعية المواضيع التي تعقد حولها المناظرات بين العلماء إلا أن هذا التأثير تراجع في النصف الثاني من القرن 3هـ مع قيام الدولة الفاطمية .
- إن التحولات المذهبية (فقهية وعقدية)وما حماته في طياتها من صراعات مذهبية بالمغرب قد عرفت حركة وتطور المشاركة عدة أطراف فيها .
- كما شهدت العلاقات المالكية الحنفية فترة من التعايش حيث كان للفقهاء في أول عهدهم بإفريقية متأخرين ولهم إلمام بالمذهب ويعملون طلابهم المذهبين الفقهيين وبمرور الأيام قويت شوكة المالكية وصاروا الممثل المذهبي الوحيد للمغاربة وحصنها الحصين ضد كل المخالفين بعد ظهور الأحناف الذين اشتدوا ساعدهم في عهد الأغالبة فقاوموهم لتفشي الاعتزال في صفوف خاصتهم إلا أن الاعتزال لم يكن له بقاء والاستمرارية ويرجع ذلك إلى تبني المتوكل الخليفة العباسي للمذهب السني.
- ولما دخل الفاطميون إلى المغرب سنة296هـ/909م وفرضوا تعاليمهم على الناس وحاربوا ما عداها .... فوقف المالكية من ذلك موقفا معاديا وكفروهم ولعنوهم على المنابر وحرضوا العامة على مجاهدتهم وحدث صراع مذهبي مرير وقاسي على الطرفين

ونستنتج مما سبق أن لا السلطة السياسية الفاطمية ولا السلطة السياسية المذهبية الشيعية باستطاعتها تغيير الواقع المذهبي التي تجذر منذ فترة في مجتمع الغرب الإسلامي وغدا التحول والانتماء لأهل السنة اختيارا نهائيا ليصير المذهب المالكي المستحوذ الوحيد على الساحة المذهبية لبلاد المغرب القطيعة السياسية.

ومما حز في أنفسنا في إطار هذه الدراسة هو الغياب التام للطرف الآخر المتمثل في المعتزلة والشيعة في المصنفات السنية المتمثلة في كتب الطبقات وهذا ما اثر نوعا ما على هذه الدراسة التي اعتمدت على زاوية واحدة فقط في التقصي والبحث بحيث لاحظنا ان الصراعات المذهبية والتحولات المذهبية قد انتهت كلها بانتصار آهل السنة عقديا على حساب كل من فرقتي المعتزلة والشيعة وفقهيا المذهب المالكي على حساب المذهب الحنفي.

وبهذه الملاحظات ينتهي هذا العمل المتواضع على أمل أن تكون نهاية كل عمل هو بداية لكل فكرة جديدة .

الملحق رقم 1: جدول لبعض فقهاء لمالكية:

الفقيه	تاريخ وفاته
ابن فروخ الفارسي	(ت 176هـ - 801م)
عبد الله بن غانم	(ت 190هـ - 805م)
البهلول بن راشد الحجري	(ت 183هـ - 799م)
علي بن زياد	(ت 183 هـ - 799م).
أسد بن الفرات	(ت 213هـ - 825 م)
سحنون بن سعيد التنوخي	(ت 240 هـ - 851م).
محمد بن سحنون	(ت 256هـ - 774م).
محمد بن عبدوس	(ت 163هـ 774م).
يحي بن عمر	ت(289هـ - 900م).
جبلة بن حمود	(ت 229هـ - 911م).
أبو بكر بن اللباد	(ت 339هـ- 888م).
إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي	(ت 359هـ - 969م).

- الملحق رقم 01: جدول لبعض فقهاء الأحناف المغاربة :

محمد بن زرزر	(ت 291هـ - 903م)
عبد الله بن المغيرة	/
سليمان بن عمران	(ت 270هـ - 883م)
ابن أبي الجواد	/
عبد الله بن الأشج	.899/286
ابن أبي المنهال	/
ابن عبدون	/
يحي بن محمد بن قادم	/
أبو محرز	(ت 221هـ - 832م)
عبد الله بن محمد بن سعيد	/
قاسم بن خلاد الواسطي	/

- ملحق رقم 03: جدول لبعض فقهاء المعتزلة المغاربة:

سليمان بن أبي عصفور	(ت 269هـ - 882م)
ابن أبي الجواد	/
أبو إسحاق المعروف بالعمشاء	/
أبو الفضل المعروف بابن ظفر	/
محمد بن الكلاعي	/
محمود المعروف بالمسيحي	/
أبو محرز	(ت 221هـ - 832م)
إبراهيم الفزاري	
أحمد بن محمد المعروف بابن شهرين	/
القمودي	/

- ملحق 4رقم: مناظرة بين المالكية و المعتزلة:

و قد جرت مناظرة عند الوزير علي بن حميد بين محمد بن سحنون و أبو سليمان النحوي و هو شيخ أقبل من المشرق يذهب مذهب الاعتزال، قال ابن سحنون للشيخ: " تقول أيها الشيخ أو تسمع ؟

يذل لخالقه ؟ فسكت الشيخ و لم يدل بجواب و سئل ابن سحنون عن جواب سؤاله ، فقال:" إن قال كل مخلوق يذل لخالقه فقد كفر ، لأنه جعل القرآن دليلاً، لأنه يذهب إلى أنه مخلوق و الله تعالى يقول : " و إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل منبين يديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد"[1]، و إن قال أنه لا يذل فقد رجع إلى مذهب أهل السنة الذي لا يرى بخلق القرآن [2]

[1]– سورة فصلت، الآية ، 41–42

[2]– المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 449.

المـــــــــــــصادر :

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير ،أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت 630هـ/1222م)، الكامل في التاريخ ،مراجعة وتعليق: محمد يوسف الدقاق ، بيروت،دار الكتب العلمية ،ج1، 1987.
3. ابن تيمية،أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم(728ه/1328م)،منهاج السنة النبوية،تحقيق: محمد رشاد سالم،(ط1)،(دم) ج2، 1986
4. الحموي،أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي(626ه-1228م)،معجم البلدان،(ط2)،بيروت ،دار صادر ،ج2، 1995.
5. الحميدي، أبو عبد الله بن محمد بن أبي النصر (ت 488هـ/1095م) ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة ،الدار المصرية،1966.
6. الخشني ،محمد بن حارث بن أسد (ت361هـ/971م) ،قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ،(ط1) ،القاهرة ،مكتبة الخانجي،1953.
7. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت808ه/1406م)، المقدمة ، بيروت ، مكتبة الهلال ، 1983.
8.

ـــــ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،مراجعة :سهيل زكار،لبنان،دار الفكر،ج4،ج6،2000.
9. الدباغ ،أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري(ت 696هـ/) ،معلم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضي ،ج1،ج2،ج3، مكتبة الخانجي مصر والمكتبة العتيقة بتونس للنشر،(د ت).

10. الدرجيني ، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/) ، طبقات المشايخ بالمغرب ،تحقيق: إبراهيم طلاي، الجزائر مطبعة البحث ، 1974.

11. الذهبي ،شمس الدين بن أحمد بن عثمان(ت 748هـ/1372م) ،سير أعلام النبلاء،تحقيق: إبراهيم الزيبق،(ط1)، بيروت ،مؤسسة الرسالة، ج15،(د ت).

12. ابن عذارى المراكشي،أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت بعد 712هـ/1321م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق: ج س كولان وإليفي بروفنسال،(ط3) ،بيروت ،دار الثقافة ج1، 1983.

13. أبو العرب ،أحمد بن تميم(ت 333هـ/944م) ،طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق: أحمد بن أبي شنب ، الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية ، 2006.

14. عياض، موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،تحقيق : عبد القادر الصحراوي،ج1،ج2،ج3،ج4، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،المغرب،(د ت)

15. ابن فرحون ،إبراهيم بن نور الدين المالكي(ت 799هـ/1369م) ،الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، لبنان ،دار الكتب العلمية ،لبنان،1996.

16. المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت483هـ/1090م) ،رياض النفوس ،تحقيق:بشير بكوش ،(ط2)، ، لبنان ،دار الغرب الإسلامي،ج1 ، 1994.

17. المقدسي ،أبو عبد الله محمد البناء(ت 380هـ/990م)، رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (د م)، دار ارتياد الآفاق،ج1، 2003.

18. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي(1350هـ/1931م) ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، جمع وتنسيق: عبد الحميد لغليطي وسويسي جمال، ،دار البيضاء، دار الكتاب ، ج1، 1954.

19. النعمان،بن محمد التميمي المغربي(ت363ه/974م)،إفتتاح الدعوة، تحقيق:فرحات الدشراوي،(ط2)،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،(دت).

المـــــــــراجع :

1. إسماعيل محمود الاغالبة وسياستهم الخارجية، (ط3)،(د م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000.

2. _____

_____ ، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ،(ط1)، ،(د م) ، دار سينا للنشر ، ج2،2000.

3. _____

_____ ، مغربيات دراسات جديدة ، المغرب ،مطبعة فضالة، ، 1977.

4. _____

_____ ـ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ ،(ط2)،المغرب دار الثقافة ،1985 .

5. _____

_____ ، فرق الشيعة ،ط1، المغرب ،دار سينا للنشر ، ، 1995.

6. بولطيف لخضر ، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في المغرب الإسلامي ،(ط5)، الجزائر، دار الصديق، ، 2015.

7. التهامي إبراهيم ،جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ،(ط1) ، سوريا ،مؤسسة الرسالة ناشرون ، ، 2005.

8. جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية إلى نهاية القرن 4هـ ، القاهرة ،دار الثقافة ،1999.

9. الجيدي عمر ، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ،ط1، الرباط ،الهلال العربية، 1993.

10.بن حمده عبد المجيد ،المدارس الكلامية في افريقية، ط1،تونس، مطبعة دار العرب، 1986.

11.حوالة يوسف بن أحمد ، الحياة العلمية بافريقية، مكة المكرمة، منشورات مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ج1، 2000.

12.الدشراوي فرحات ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ،ترجمة: حمادي الساحلي ،(ط1) ،لبنان، دار الغرب الإسلامي،1994.

13. زيتون محمد محمد ،القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط(1)، القاهرة، دار المنار ، ، 1988.

14.عويس عبد الحليم، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ ،ط2،دار الصحوة ودار الوفاء، مصر، 1991.

15.لقبال موسى، المغرب الإسلامي،(ط2)، الجزائر ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1981.

.16

ـــــ ،دور كتامة في الخلافة الفاطمية،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1979.

17.مارسية جورج، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ،ترجمة: محمود عبد الصمد، مصر، مطبعة الانتصار، 1999.

18.مؤنس حسين ،معالم تاريخ المغرب العربي والأندلس، (د م) ،مكتبة الأسرة ،1992.

19.مجاني بوبة ، الإسماعيليون في المغرب العربي ،(ط1)، القاهرة، دار رؤية ،2014 .

20.المجدوب عبد العزيز، الصراع المذهبي بإفريقية ، تونس ،الدار التونسية للنشر ، 1975.

21.مخلوف محمد بن محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، القاهرة ،المطبعة السلفية ، ، 1930.

22.النقيب أحمد بن محمد نصير الدين ، المذهب الحنفي ، ، الرياض ،مكتبة الرشيد، ج1 ، 2001.

23.الهنتاتي نجم الدين ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي ،تونس ،تبر الزمان،2004.

المقالات والمجلات :

1. بن حمادي (عمر) ،"حول نعت الداخلين في الدعوة الفاطمية بالمشارقة"، مجلة حوليات الجامعة التونسية ،(د م) ، العدد39،1995، من ص 281الى 304.

2. السلامي رشيد ،" حول حسم الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة بافريقية في عهد المعز بن باديس الزيري " ،ضمن كتاب : الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط ،لمجموعة من الباحثين، تنسيق: حسن حافظي علوي، ط1 ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،2008، من ص 57الي ص 81.

3. المنصوري الطاهر،" علماء القيروان أمام المذهب الفاطمي" ،ضمن كتاب : الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط ،لمجموعة من الباحثين تنسيق :حسن حافظي علوي ،ط1 ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2008، من ص 47 إلى ص 56.

4. الهلالي مجمد ياسر،"نواتبيبليوغرافيا حول المذاهب في بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط،ضمن كتاب:الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط،لمجموعة من الباحثين،تنسيق:حسن حافظي علوي،(ط1)،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،2008،من ص13إلى ص45.

5. الهنتاتي (نجم الدين) ،" الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني الى منتصف القرن 4هـ" ، مجلة حوليات الجامعة التونسية ،(د م) ، العدد 44، 2000، من ص175إلى ص 213.

6. الهنتاتي (نجم الدين) ،"تطور المذهب الحنفي بالقيروان خلال القرون الوسطى" ، مجلة التاريخ العربي (الرباط) ، العدد13 ، 2000، من ص 311 إلى ص 327.

الرسائل الجامعية

1. بن زاوي طارق (استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية) ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر،2009.

2. همال عبد السلام (الواصلية نشاطها بالمشرق وحركتها المذهبية والسياسية والعسكرية في المغرب الإسلامي110ه-729م/338ه-942م)، مذكرة السنة الأولى ماجستير، مخطوطة، إشراف:موسى لقبال، جامعة الجزائر معهد العلوم الاجتماعية،1403هـ، 1983م.

مقدمة أ

الفصل الأول:
التحولات الفقهية في المغرب الإسلامي وموقف السلطة والفقهاء منها

أولا : المذهب الحنفي في المغرب الإسلامي . 8
1. سيادة المذهب الحنفي في العصر الأغلبي 8
2. موقف فقهاء المالكية من التطور العقدي للأحناف 12
3. تراجع المذهب الحنفي في إفريقية 17
ثانـــــــياً: المذهب المالكي في المغرب الإسلامي والمواقف منه 20
1. انتشار المذهب المالكي بالمغرب 20
2. مظاهر تعايش الأغالبة مع المذهب المالكي 24
3. مظاهر الصراع بين الحنفية والمالكية 26

الفصل الثاني :
التحولات العقدية في المغرب الإسلامي وموقف السلطة والفقهاء منها

أولا: المد الشيعي الإسماعيلى وموقف السلطة والفقهاء منه 31
1. تقرير الدولة الفاطمية للمذهب الشيعي 31
2. مواقف أهل السنة من التشيع 34
3. مواقف السلطة الفاطمية من أهل السنة 41
ثـــانياً : سيادة المذهب السني في العهد الزيري 45
1. دور السلطة الزيرية في ترسيم المذهب السني 45
2. حسم الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة هي عهد المعز بن باديس 49
3. إنتصار المذهب السني 53
خاتمة 58
الملاحق 61
قائمة المصادر والمراجع 66
فهرس المحتويات